المشرق

انجيل يوحنّا الحبيب

والشواهد القديمة في سمتهِ التاريخية

درس للاب انفرد دوران اليسوعيّ القاهُ في المكتب الشرقي اللاحق بكليّة القديس يوسف

بين الاراء التي حكم الكرسيّ الرسولي آخرًا ببطلانها (المشرق ٩١٧ — ٩٢٥) عدّة قضايا (ع ٢٦ — ١٨ ، ٣١) مختصة بانجيل القديس يوحنّا الحبيب فانّ بعض المبتدعين الحدثين انكروا انّ هذا الانجيل ليوحنا وغيرهم ادّعوا انهُ ليس بتاريخي او انهُ اقرب الى التأملات التقوية منهُ الى الروايات الصادقة. وقد بنوا رايهم هذا على ما وجدوهُ من التباين بين الانجيليين الثلثة الاولين متى ومرقس ولوقا وبين انجيل يوحنا فيزعمون انّ اولئك رووا اعمال السيد المسيح روايةً تاريخيّة بخلاف يوحنا الذي يفسّر تلك الاعمال ويستنتج منها النتائج التعليميّة ويشرحها شرحًا رمزيًا. وان وقفوا على حادث تاريخيّ انفرد بهِ هذا الانجيل تقوا صحتهُ ونسبوهُ الى المجاز مثال ذلك قيامة لعازر فانهم يرون ان رواية يوحنّا تخيليّة لا اساس لها وانّما اراد المسيح ان يعلم البشر كونهُ هو القيامة والحياة. وغاية ما يسلمون بهِ انّ يوحنا في انجيلهِ اشار الى حوادث تاريخيّة اخذها عن الاناجيل الثلاثة وتصرّف فيها كما خطر على بالهِ واضاف اليها التوهمات التقويّة. فانّ قيامة لعازر مثلًا ليست واقعيّة وانّما وجد يوحنّا لقولهِ سندًا في رواية من سبقهُ من المبشرين عن قيامة ابن ارملة نائين وفتاة رئيس المجمع فنسب ذلك الى لعازر. وان قيل لهؤلاء المنتقدين: ألا ترون انّ كل الاعلام المذكورة في انجيل يوحنّا تاريخيّة كما هي في

الاناجيل الاخرى الثلثة ؟ فيجيبون على ذلك انَّ الامناء في سفر يوحنا هي رمزيَّة لا حقيقة لها فيزعمون مثلًا انَّ والدة يسوع المذكورة في عرس قانا وعند الصليب ليست هي مريم العذراء بل يراد بها تشوقات الأمة اليهوديَّة الى مجيء المسيح كما يرتأون انهُ يراد بالتلميذ الحبيب جماعة الكنيسة المحافظة على اقوال الربّ وتعاليمهِ الروحيَّة

هذا بعض ما ذهب اليهِ هؤلاء المدَّعون بالعلم وفي مقدمتهم الكاهن الفرنسوي لوازي (Loisy) . فيا تُرى هل لمذهبهم ركن ثابت او بالحري قولهم فارغ لا يتجاوز الوهم الباطل . فليس لنفصل هذا المشكل الَّا مراجعة التاريخ القديم والكتبة الذين عاشوا في عهد يوحنا الانجيلي او عاصروا الذين كانوا في زمانهِ او من بعدهِ بقليل فان وُجد شهود مثل هؤلاء يعلنون بانَّ انجيل يوحنا يشبه في ستهِ التاريخيَّة بقيَّة الاناجيل فشهادتهم اصدق من سواهم وادلّ على حقيقة الامر ولا يبقى الَّا الاذعان لاقوالهم ونبذ رأي سواهم . لانَّ الاولين لقربهم من عهد الكاتب الاصليّ امكنهم ايضًا ان يدركوا معناهُ هل اراد بقولهِ مجازًا ورموزًا او قصد سرد ماجريات تاريخيَّة صحيحة يجب تصديقها وقبولها كما تُقبل الحوادث الواقعيَّة . وننبه القراء على اننا في هذه المقالة نضرب الصفح عن مؤلف هذا الانجيل اهو يوحنَّا الرسول او رسول آخر او احد تلاميذ الرسل المدعو يوحنَّا فانَّ هذه مباحث قد افردنا لها دروسًا اخرى فنفترض هنا انَّ الخصوم يسلمون بان الانجيل هو حقيقةً ليوحنَّا الحبيب ابن زبدى واخي القديس يعقوب . ونحصر كلامنا في بيان قضيَّة واحدة اعني تاريخيَّة هذا الانجيل التي ينكرها هؤلاء المحدثون

١

من عارض انجيل يوحنا البشير باناجيل رصفائهِ الثلثة متَّى ومرقس ولوقا تبيَّن لوقتهِ ما خُصَّ بهِ الاول دون هؤلاء . وقد لحظ النصارى الاوَّلون بانَّ الانجيل الرابع تجرَّد في امور شتى عن الانجيليين الاخرين ولم يختار على بالهم قطّ بان هذا السفر انَّما هو مجموع رموز وامثال اسفار يُراد بها معناها دون حقيقتها . لكنهم قد علَّلوا هذا الاختلاف بين يوحنَّا والمبشرين السابقين بعلَّتين فقالوا انَّ يوحنَّا قصد في انجيلهِ تتمَّة الاناجيل السابقة فروى من اعمال الربّ وخطبهِ ما اهملهُ اولئك الكتبة ومن ثمَّ لم يكرّر مما رووهُ الَّا النزر القليل واتسع في ما أضربوا عنهُ . فهذا هو السبب الاوَّل للفرق الذي تراهُ بين انجيلهِ واناجيلهم وبين رواياتهِ وروايتهم . امَّا السبب الثاني الذي ساق الحبيب الى مخالفة

اصحاب الاناجيل المعروفة بالمتوافقة (Synoptiques) في طريقهم فهو الردّ على قيرنثوس والهراطقة الأدريين (Gnostiques) الذين قاموا في اواخر القرن الاوّل للنصرانية وانكروا لاهوت السيّد المسيح ووجودهُ قبل تأنسهِ في احشاء مريم البتول. فاقتضى على يوحنا ان يتصدى لهؤلاء الجحدة ويعلن جهارًا بالوهيّة السيد المسيح التي كانت محجوبة نوعًا تحت ستار رواياتهم كما يحجب الجسدُ صورةَ النفس وقوتها. وعلى كل حال كانوا يكرّرون على رووس الاشهاد انهُ ليس بين انجيل يوحنا والاناجيل المتوافقة تباين جوهريّ واختلاف اصليّ

فهامّ بنا نتصفّح ما كتبهُ ملافنة الكنيسة منذ القرن الثاني للمسيح لنقف على اقوالهم في حقيقة انجيل يوحنا وفحواه التاريخي

واول من تلزم شهادتهُ في هذا الصدد القديس ايريناوس الشهيد (١٤٠ — ٢٠٢م) تلميذ پوليكربوس خلف القديس يوحنا على كرسيّ افسس فانّ قولهُ حجّة لازبة. فهذا الكاتب الجليل في كتابهِ عن الهرطقات (ك ٣ ف ١ ع ١) قد ذكر الاناجيل الاربعة القانونيّة ولم يفرز بينها بل يعتبرها كلها على سواء كأسفار تاريخيّة محضة لا بل يستند على انجيل يوحنا لتزييف احد الهراطقة الوالنطينين المدعو بطلميوس الذي زعم انّ السيد المسيح لم يبشر في اليهودية والجليل اكثر من سنة واحدة. فابطالًا لهذا الزعم يعدّد ايريناوس اعمال السيد المسيح ورحلهُ المختلفة الى اورشليم كما رواها القديس يوحنا وحدهُ. وفي هذا الفصل عينهِ يشير الكاتب الى ثلاث من معجزات الرب التي لا ذكر لها في غير انجيل الحبيب اعني تحويل الماء الى خمر في عرس قانا ثمّ شفاء المخلع عند بركة بيت حسدا ثمّ قيامة لعازر (الهرطقات ك٢ ف ٢٢ ع ٣). وقد ذكر قيامة لعازر من قبرهِ في موضع آخر في جملة الموتى الذين احياهم السيد المسيح. ويروي هناك التقاء الربّ بالسامريّة عند بئر يعقوب وتكثيرهُ للخبزات الخمس ثم اعتزالهُ عن الجموع في اقرانيم (ك ٥ ف ١٣ ع ١) ويمكن القول اجمالًا بانّ ايريناوس جعل هذا الفصل كخلاصة انجيل يوحنا

ولنا دليل آخر على فكر اسقف ليون واعتبارهِ لانجيل القديس يوحنا فانّ هذا الكاتب يردّ على الهراطقة الذين كانوا وضعوا اناجيل مزوّرة ينسبونها زورًا الى بعض الرسل فيبيّن

لهم ان الاناجيل القانونيَّة الموحى بها اربعة ليس الَّا وانَّ هذا العدد قد جمعهُ الروح القدس فلا يُمكن ان يُزاد عليهِ او يُنقص منهُ ودونك كلامهُ بحرفهِ اليونانيّ (ك٣ ف١١ ع ٨) :

Ἔδωκεν ἡμῖν τετράμορφον τὸ Εὐαγγέλιον, ἑνὶ δὲ Πνεύματι συνεχόμενον

ولعلّ قائلًا يردّ شهادة ايريناوس لزعمه بانّ هذا الكاتب يتشبَّث بالمعنى الحرفي ولا يفرز المجاز والمعاني الرمزية كما فعل في شرح بعض آيات سفر الرؤيا . فنجيب على هذا الاعتراض بانّا نعلم انَّ ايريناوس بالغ في بعض شروحهِ لرؤيا يوحنَّا فاخذها بمعناهـا الحرفي مثال ذلك ما كتبهُ عن ملك المسيح مدَّة الف سنة على الارض (في كتاب الهرطقات ك ٥ ف ٢٤ ع ٢ وف ٣٥ ع ٢) لكنّ غلطهُ هذا لا يُضعف شهادتهُ في سمة انجيل يوحنا التاريخيَّة . وزد على ذلك انَّ ايريناوس عرف حقّ المعرفة ما لمتاز بهِ عموماً سفر جليان يوحنَّا وانّ هنـاك وصفًا لرؤيا نبويَّة ارشدهُ بها الله الى حقائق روحيَّة تحت شكل الرموز وانَّما غلط القديس فقط في شرح بعض هذه الحقائق كما يغلط المفسرون كل يوم في ايضاح بعض ما يُفسرونهُ من الآيات وانَّما هـذا لا يصدُّهم عن ادراك خواصّ السفر الذي حاولوا شرحهُ والاستدلال على مميزاتهِ العموميَّـة . فكذلك ايريناوس

وان قال المعترض بانّ ايريناوس في رأيهِ عن ملك المسيح الأَلفي لم يذكر رأيهُ الخاصّ بل تقليدًا ورثهُ من شيوخ البيعة وخصوصًا من القديس بابياس معلمهِ وكانوا كلهم عرفوا يوحنا الحبيب وتردَّدوا معهُ (ك٥ ف٣٣ ع ٣ و٤) . اجبناهُ انَّ القديس ايريناوس لم يستشهد البتة في كلامهِ عن هذا التملُّك الموهوم بيوحنَّا الرسول كما انهُ لم يقُل بانَّ الشيوخ اخذوا تفسيرهم لقولهِ عن الحبيب والاولى ان يُقال انَّ هؤلاء الشيوخ حملوا قولهم على الحدس والتخمين او اخذوهُ من اوهـام بعض الربيين الذين كانوا ينسبون للمسيح ملكًا ارضيًا في آخر العالم

وكذلك نقرّ بانَّ ايريناوس قد بالغ في استشهـادهِ برأي هؤلاء الشيوخ وبشرحهِ لبعض آيات الانجيل الرابع ليبيّن انَّ المسيح بلغ سنَّ الخمسين (ك٢ ف ٢٢ ع ٥) . لكنّ اغلاطًا كهذه ليست بكافية لردّ شهادة ايريناوس في سمة انجيل يوحنَّا التاريخيَّة لننسب اليهِ جهلًا فظيعًا بأنهُ لم يميز ما هو حقيقيّ ووضعيّ وما هو خيـالي واستعاري . فانهُ ما كان ليجهل انَّ بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازيّ طريقًا وسطى اعني المعنى الروحي

لتهذيب النفوس وارشادها وفي تآليفه عدّة نصوص تبيّن بأجلى برهان انهُ يميز في الاسفار الالهية بين الوقائع التاريخيّة والامثـال وينبّه القراء على الامر (لـ٢ ف ٢٢ ع ١). وكذلك لا يسهو عن ايراد المعاني الروحيّة والادبيّة فانهُ يعود غير مرّة الى قيامة لعـازر (لـ ٣ ف ١٧ ع ٣ ثم لـ ٤ ف ٢٢ ع ١ وف ٢٤ ع ٤ ثم لـ ٥ ف ٨ ع ٣ وخصوصاً ف ١٣ ع ١) فلا يكتفي ببيان صحتها التاريخيّة ولكن ينتهز الفرصة ليوضح معناها الروحي فيقول انّ لعازر في قبره هو رمز عن الخاطئ في الثمّ تربطهُ خطاياهُ كما كانت الاكفان تسجي لعازر الميت

فترى من ثمّ انّ ايريناوس لم يشطّ عن الصواب اذ نسب الى انجيل مار يوحنـا حقيقةً تاريخيّة وانّهُ لو عرفهُ كتاباً محمولاً على الرموز والامثال لما تردّد في ايضاح الامر وكشفهِ لاهل عصرهِ . وما يزيد شهادتهُ قوّةً انّهُ وضع كتابهُ في الهرطقـات لتفنيد الأدريّين الذين سندوا بعض اضاليلهم في الارواح الابديّة (Eons) الى انجيل القديس يوحنّا فيبطل ايريـناوس اقوالهم وبين سوء شرحهم لاقوال الرسول الحبيب ولكنهُ لا يؤاخذهم مطلقاً بجهلهم لتاريخيّة الانجيل الرابع وانكارهم صحّة رواياتهِ ولو كانوا رفضوا ذلك لما كان ايريناوس سكت عنهم . ويؤيد قولنا عن الادريّين وعن اقرارهم بواقعيّة الاخبار الروية في انجيل يوحنّا ما قالهُ فيهم اوريجانوس المعلم الاسكندري حيث كتب عن احد زعمائهم هيراكليون « انهُ مثل غيرهِ من ذوي بدعتهِ كان يتمسك بالمعاني الحرفيّة في الانجيل » ١) ὁ Ἡρακλέων, ὁμοίως τοῖς πολλοῖς, ἐπὶ τῆς λέξεως ἔμεινε

ومن معاصري القديس ايريـناوس طاطيانوس الشهير الذي كان احد تلامذة القديس يوستينوس فهو قد ارتأى في انجيـل القديس يوحنا راي ايريناوس وعدّهُ سفراً تاريخيّاً كبقيّة الاناجيل دون ان يفرقهُ عنها بشيء . ومن تآليفهِ الشائعة كتابهُ في موافقة الاناجيل الاربعة او الدياطاسرون حيث سرد في تاريخ واحد متتابع اخبار السيّد المسيح الروية في كلّ الاناجيل فيذكر رواية يوحنّا كما يروي اخبار الانجيليين الثلاثة دون تمييز قطعيّاً كما ترى في كتاب القلادة الدرية المطبوع في مطبعتنا . وممّا يدلّ على انّ طاطيانوس لم يذهب في فعلهِ هذا الى رايهِ الخاصّ بل الى راي اهـل زمانهِ انّ كتابهُ اشتهر في

١) اطلب مجموع الاباء اليونان لمين (Migne, : PP. GG. VII, 1309 ; cf. 1294 — 1322)

البلاد الى اواخر القرن الخامس وكان مكتوباً بالسريانيَّة وبقي لنا قسمٌ من شروح القديس افرام عليهِ ونُقل الى اليونانيَّة واللاتينيَّة ثمَّ فُقد الاصل السرياني الَّا انَّ ترجمتهُ العربيَّة وُجدت في المكتبة الفاتيكانيَّة وطبعت قبل ٢٠ سنة وفي مكتبتنا الشرقيَّة اوراق من نسخة قديمة وصفهـا المشرق في بعض مقالاتهِ السابقة (٤ : ١٠٠ — ١٠٥) ورسم صورتها بالشمس

وفي مطاوي هذا القرن الثاني كُتب في رومية جدول الاسفار المقدسة المقبولة في الكنيسة كمُنزلة . وهذا الجدول يُعرف باسم مكتشفهِ فيدعى « جدول موراتوري » فترى فيهِ مع ايجازهِ وصفاً لانجيل القديس يوحنا لا يقلّ عن ٢٥ سطرًا وكأنَّ صاحب هذا الاثر اراد ان يتصدَّى لاعتراض الناكرين لحقيقة هذا الانجيل فيستدرك المشكل بقولهِ : « ان وُجد في هذا الانجيل امور تفرَّد بها عن سواهُ فلا باس لانَّ الاناجيل الاربعـة تصدر عن روح واحد هو الروح القدس . وهذه الاناجيل تتَّفق في امور عديدة كميلاد المسيح وآلامه وقيامتهِ وتصرُّفهِ مع رسلـهِ ومجيئهِ الاول بالذلّ والهوان ومجيئهِ الاخير بالعزّ والمجد . ثم يردف قولهُ بما تعريهُ « لا عجب اذا كان يوحنا في رواياتهِ مثبتاً للامور لا يرتاب في تقريرها وهو القائل في اوَّل رسالتهِ : « الذي كان من البدء الذي سمعناهُ الذي رايناه بعيوننا الذي تأملناهُ ولمستهُ ايدينا . . . نشهد ونبشركم ونكتب بهِ اليكم . فبهـذا القول لم يبيّن فقط انهُ رأى وسمع ولكن يثبت ايضاً انهُ قد دوّن بالكتابة كل العجائب التي صنعها الربّ بترتيب ونظام »

هذا ما قرَّرهُ عن الانجيل الرابع احد كُتبة الكنيسة الرومانية بين تاريخ السنة ١٨٠ والسنة ٢٠٠ للمسيح ومرجع قولهِ الى انَّ الرسول يوحنَّا موثوق بكلامهِ ثبتٌ في رواياتهِ عن حياة السيد المسيح وان تفرَّد عن المبشرين الاخرين في طريقتهِ فلا بأس من ذلك لانَّ كل انجيلي كتب على حسب ما اوحى اليهِ الروح القدس

٢

انَّ الجواب السابق كما ترى كافٍ لتثبيت المسيحيين في ايمانهم وازالة كل شكّ عن حقيقة انجيل مار يوحنا . الَّا ان المشكل الذي عرضناهُ لا يُحَلّ تماماً ان لم نبحث عن سبب التباين الموجود بين يوحنَّا ورصفائهِ الثلاثة . وقد علم القدماء بهذا الاعتراض وحاولوا فكَّهُ . واوَّل من استدرك الامر اقليمس الاسكندري في كتابهِ المسمى

بالوضعيَّات (Ὑποτυπώσεις) الذي صنَّفهُ في اواخر القرن الثاني وهذا الكتاب قد فُقد الَّا بعض مقاطيعه التي نقلها اوسابيوس القيصري منها نبذة نعربها هنا لأنها تتضمن الجواب على المشكل المقصود قال: « انَّ يوحنا كتب بعد المبشرين الاخرين لانهُ لحظ انَّ الاناجيل السابقة لم تسطر من ترجمة السيد المسيح الَّا الامور الجسديَّة فلبية لدعوة حاشيتهِ وبعد وحي الروح القدس عزم على كتابة انجيل روحي (١

فمعنى هذا القول انَّ نسبة انجيل يوحنَّا الى الاناجيل الثلثة المتوافقة بمنزلة النفس الى الجسد فبينما ترى الانجيليين الثلثة يعرضون اعمال الرب الخارجيَّة ويتشبَّثون بجسمها الظاهر فيذكرون ما رأوا وسمعوا تشاهد يوحنَّا على خلاف ذلك يستشفُّ ما وراء هذه الاعمال فيسبط الحجاب عن اللاهوت وعن قوتهِ الالهيَّة التي كانت تحيي تلك الاعمال والاقوال الصادرة من السيد المسيح ابن الله

وهذا التفسير من شأنهِ ان يُقنع الجميع ولم يخترعهُ اقليمس الاسكندري من تلقاء نفسهِ بل عرضهُ استنادًا الى تقليد سابق يرتقي الى الشيوخ الاولين (Κατὰ παράδοσιν τῶν ἀνέκαθεν πρεσβυτέρων) . ومذ ذلك العهد درجت هذه الكلمة واضحت كصورة مميزة للانجيل الرابع وكبيان لخواصهِ . نعم انَّ هذا الشرح لا يعلِّل سكوت الانجيليين الاولين عن بعض المعجزات والخطب التي رواها القديس يوحنَّا لكنهُ يبين سبب الفرق الموجود بين هذا الانجيل ورصفائهِ ويثبت لرواياتهِ صحتها التاريخيَّة بحيث يمكننا القول بانَّ الخطب المدرجة في انجيل يوحنَّا عن لسان السيد المسيح او يوحنَّا المعمدان او الرسل او نيقوديموس وهلمَّ جرًّا ليست هي خطبًا مصنوعة بل وضعيَّة حقيقيَّة وان يصحَّ القول ايضًا بانها اجتازت في قلب الرسول الحبيب ومخيلتهِ فنالت شيئًا من عواطف لبهِ ورونق تصويراتهِ . فانَّ يوحنا كتب بعد موت المسيح بسبعين سنة وكانت نفسهُ لا تزال مفعمة من ذكر الاله المتأنس طافحة من افضالهِ فاراد ان يصفهُ باقوالهِ وصفًا يحيي شخصهُ الكريم في سامعيهِ فترى في كل كتابات يوحنَّا دلائل على

(١ وهاك قولهُ بحرفهِ نقلًا عن اوسابيوس: Τὸν μέντοι Ἰωάννην ἔσχατον συνιδόντα: ὅτι τὰ σωματικὰ ἐν τοῖς Εὐαγγελίοις δεδήλωται, προτραπέντα ὑπὸ τῶν γνωρίμων Πνεύματι θεοφορηθέντα, πνευματικὸν ποιῆσαι Εὐαγγέλιον (Eusèbe, HE, VI, 14)

سعيه هذا بان يحمل لسيّده مقاماً اهلاً بجلاله وذلك مع مراعاة حقوق التاريخ المقدسة. وكل غايته ان يقرّب تعاليم الربّ الى فهم الجميع سواء كانوا يهودًا او وثنيين. وهذه الغاية تلوح ايضاً في الاناجيل السابقة الّا انها في انجيل يوحنا تظهر بكل رونقها وتسطع بكل نورها

٣

قام بعد اقليمس الاسكندري تلميذهُ اوريجانوس الذي طبّق اسمهُ اقاصي البلاد. وكان هذا المعلم الشهير في تفسيره للاسفار المقدّسة محبًّا للمعاني الرمزية يرى في كل الحوادث الكتابيّة امثالًا ومجازات ومع هذا لا تراهُ في تفاسيره للاناجيل يفرق بين بشارة يوحنا وبقيّة الانجيليين بل يقبل حقيقتها التاريخيّة على سواء ويضيف الى ذلك معاني اخرى يوجّهها الى الرموز والروحيّات. ولنا في تآليفهِ عدّة شواهد لا تبقي ريباً في اعتبارهِ انجيل يوحنا كسفر تاريخي. اطلب مثلًا كتاب ردّهِ على كلسوس فانهُ هناك ينتدب تُهم ذلك الفيلسوف الوثني في حقّ المسيح فيعدّد اعمالهُ الالهيّة ومعجزاتهِ الباهرة ويستعير معظم ادلّتهِ من انجيل يوحنّا كإحيائهِ لعازر من القبر وظروف موتهِ ودفنهِ وقيامتهِ وظهوره للقديس توما. وفي هذا الكتاب عينهِ ينبه اوريجانوس قرّاءهُ الى انّ الاسفار المقدسة تحتوي معنيين معنى حرفيًّا اي تاريخيًّا ومعنى روحيًّا فكفى بهذا التفصيل دليلًا على انهُ لا ينفي المعنى الحقيقي (١

وقد قام بعد اوريجانوس عددٌ من مشاهير الملافنة كيوحنّا فم الذهب وكيرلّس الاسكندري وتاودورس المصيصي وتكلّمهم تفاسير على الانجيل الرابع فلا ترى واحدًا منهم يشكّ في صحّة هذا الانجيل التاريخيّة وحقيقة اخباره ورواياتهِ وانما ينبّهون القرّاء الى سموّ معاني هذا الانجيل حتى انهم لقبوا صاحبهُ بالثاولوغوس اي المتكلم باللاهوت فشاع هذا الاسم بين الفلاسفة الوثنيين نفسهم كما روى اوسابيوس (٢

امّا مذهب القائلين بانّ القديس يوحنّا كتب انجيلهُ تتمّة للاناجيل السابقة ليروي

---

١) اطلب مجموع الاباء اليونان في مين Migne : PP. GG. XI, 872, 888-895, 904-906 وبالاخص راجع رد اوريجانوس على كلسوس ك ٢ ع ٤٨ ثم ٥٧ – ٦٣

٢) اطلب مين Préparat. évang., XI, 18, Migne : XXI, 900.

ما فاتتهم روايته فقد ذهب اليهِ خصوصاً الاباء اللاتينيُّون. كما صرَّح بهِ القديس اوغسطينوس في كتابهِ المعنون بالتوفيق بين الاربعة الانجيليين قال : « انَّ اصحاب الاناجيل الثلثة الاولى قد صرفوا عنايتهم الى تسطير الاعمال التي انجزها الربّ بناسوتهِ. امَّا يوحنَّا فوجَّه نظرهُ قبل كل شيء الى لاهوتهِ الذي يجعلهُ شبيهاً بابيهِ السماوي (١ ». فكأنَّ القدّيس اوغسطينوس اعاد في قولهِ هذا ما سبقهُ اليه اقليمس الاسكندري في انجيل يوحنَّا لما دعاهُ بالانجيل الروحي. وقد كرَّر اوغسطينوس في كتاباتهِ قولهُ السابق في انجيل الحبيب وسمتهِ الروحيَّة مع اثباتهِ لحقيقة معانيه التاريخيَّة وعلَّل ذلك بسببين : الاول انَّ يوحنا حبيب الرب كان اقرب الى قلب المسيح من بقيَّة الرسل فاستقى معانيهُ من هذا المنهل الالهي وحلَّق في كبد السماء كالنسر الطائر. والسبب الثاني انَّ يوحنا في انجيلهِ توخَّى غاية خصوصيَّة فانهُ بروايتهِ لاعمال الرب لا يكتفي بنشرتها الظاهرة بل يضيف اليها معانيها الباطنة ليُري المؤمنين انَّ تلك الاعمال الوقتيَّة فعلاً ثابتاً يجدّدهُ المسيح في النفوس كل يوم الى منتهى الدهر (٢

فاين يا تُرى كل هذه الاقوال الصادقة والتقارير المتواترة المبنيَّة على العقل والنقل من مزاعم اولئك المحدثين الذين يبتدعون كل يوم رأياً جديداً تسوّلهُ لهم اوهامهم ومخيلاتهم الجامحة ؟ اما الكنيسة الكاثوليكيَّة فلم تحِدْ عن تعاليم أئمتها العظام وحفظت تلك الوديعة الثمينة بحرص واهتمام. لا بل وافقها في تعليمها هذا البروتستان المعروفون بالمحافظين فانهم يرون رايها في صحة انجيل يوحنا وحقيقة معانيهِ وسمتهِ التاريخيَّة وان كانوا استرسلوا في ايضاح معانيهِ الروحيَّة الى حدّ بليغ

اما البروتستان المتطرّفون والاباحيُّون وناكرو الوحي فانهم يسلّمون بما يحتويه انجيل يوحنا من الاخبار التاريخيَّة المحضة لكنهم يرفضون ما يتضمَّنهُ من المعجزات لزعمهم بانَّ العجائب مستحيلة وفي هذا لا يفرقون بين الانجيليين الاوَّلين وصاحب الانجيل الرابع ومن ثمَّ لا نحاجّهم هنا لأنهم يوافقوننا في القول بانَّ اخبار هذا الانجيل تاريخيَّة ليست تخيليَّة كما زعم آخرًا الكاهن الفرنسوي لوازي في كتابهِ الذي دعاهُ الانجيل الرابع

---

١) اطلب اعمال الاباء اللاتين لمين (Migne : *PP. LL.*, XXXIV, 1045)

٢) اطلب في مجموع مين شروحه على يوحنا Migne : XXXV, 1062 et 1713 وكتابهُ في التوفيق بين الانجيليين Ibid., XXXIV, 1045-1046

(Loisy : *Le quatrième Evangile:* p. 96) حيث نهج طريقاً وعرة بزعمه انَّ انجيل يوحنا مجرَّد عن الحقيقة وبكل صواب رذل قولهُ انكرسي الوسولي في القضيَّة السادسة عشرة (اطلب المشرق ص ٩٢٠) التي اقتطفها من كلامهِ : « ليست روايات يوحنا تاريخاً صحيحاً وانَّما هي تأمُّلات تقويَّة عن الانجيل وكذلك الخطب التي رُويت في بشارتهِ انَّما هي مذاكرات لاهوتيَّة في سرّ الخلاص مجردة عن الحقيقة التاريخية ». وكانت لجنة الاسفار المقدَّسة في رومية سبقت وصرَّحت في ٢٩ ايار من السنة الجارية مع مصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيداً بانَّ الانجيل الرابع ليس هو فقط ليوحنا الرسول بل هو سفرٌ تاريخيٌّ يتضمن حقيقةً معجزاتِ الربِّ التي اجترحها وخطبهُ التي نطق بها وقد اودعها الحبيب في كتابهِ كما رآها وسمعها. فلم يبق بعد هذا الحكم لكل كاثوليكيٍّ صادق الَّا الرضوخ لقول الكنيسة لانَّ من يسمع منها يسمع من الرب ذاتهِ (لوقا ١٠ : ١٦)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وفي هذا الزمان عينهِ كان في الاستانة شاعر آخر من طائفة السريان الكاثوليك اسمهُ فيلبُّس باسيل بُنَّاء وكان اصلهُ من حلب واستوطن دار السلطنة وعُرف بادبهِ وحسن نظمهِ فمن ذلك عدَّة قصائد قالها ولم يبق منها الَّا ثلث طُبعت في برسا من حواضر المانية مع ترجمتها الى الالمانيَّة سنة ١٨٤٤ الواحدة منها قالها في السلطان الغازي عبد المجيد والثانية مدح فيها البرنس دي جوانفيل وكان اظهر مروَّة عظيمة في حريق بُليت بهِ بعض احياء استنبول. وقال الثالثة في مدح غليوم الرابع ملك بروسيا. امَّا سنة وفاتهِ فمجهولة

وكذلك نجهل تاريخ شاعر آخر مدحهُ نيقولا الترك وهو نيقولا النحاس نكتفي بتدوين اسمهِ رجاء ان يستدلَّ احد القراء على مآثره

وممَّن نختم بذكره هؤلاء الكتبة والشعراء لهمَّته وخدمتهِ للاداب الدينيَّة بطريرك الملَّة السريانيَّة اغناطيوس بطرس جرجه اشتغل بتعريب عدَّة تآليف دينيَّة اخصها مختصر

اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرم وكتاب الحياة الالهيَّة للاب نيرمبرغ اليسوعي وله كتـاب مواعظ وكتب ترجمة عمه البطريرك ميخائيل جروه اوّل بطاركة السريان الكاثوليك بعد انفصالهم النهائي عن اليعاقبة وكانت وفاتهُ سنة ١٨٦١ في ١٢ ت ١. وعارضهُ في هذه التعريبـات معاصرهُ ووطنيُّه السيد ابراهيم كويلي مطران الارمن في حلب فعرَّب كتاب الحق القانوني وبعض التآليف الروحيَّـة (المشرق ٩: ٤٢٠) كانت وفاتهُ سنة ١٨٣١ شهيد محبَّتهِ في خدمة رعيَّتهِ

*

دعنا الان ننتقل الى ذكر شيء من الحركة العلميَّة التي استجدَّت في هذا الطور بين الاوربيين فحملتهم على طلب الآداب العربيَّة واحراز فوائدها. ومن اقوى البواعث التي ساعدت علماء اوربَّا على بلوغ هذه الغاية تشكيل جمعيات علميَّة اسيويَّة يعقد اصحابها جلسات قانونية وينشرون الابحاث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقيَّة. وكانت الجمعيَّة الاسيوية الفرنسويَّة تتقدَّم ما سواها في هذا السباق الشريف فبلغت في ذلك الطور الثاني مقاماً عالياً كما تشهد عليه منشوراتها المتعدّدة. وكذلك الجمعيَّة الاسيويَّة الانكليزية تجاري شقيقتها في همَّتها وان كان نظرها منصرفاً بالخصوص الى الهند والشرق الاقصى. وممَّا استوقف من هذه الجمعيَّات الجمعيَّة الاسيوية البنغاليَّة التي باشرت سنة ١٨٣٢ نشر مجلة كالمجلَّات الاسيوية الاوربيَّة وهي لا تزال الى يومنا تواصل اعمالها بنشاط

وفي هذا الزمان نشأت في المانية نهضة محمودة لدرس العلوم الشرقيَّـة ولاسيما العربيَّة. فاجتمع قوم من اصحاب الجدّ والعمل اخصهم ايفلد (Ewald) وغابلنتس (v. d. Gabelentz) وكوسغرتن (Kosegarten) ورودیغر (Roediger) وجعلوا ينشرون مجلَّة لمعرفة الشرق (Zeits. f. d. Kunde d. Morgenlandes) تجد فيها مقالات عديدة في التاريخ والاداب العربيَّة. ومـا لبثت جمعيَّة أُخرى اوسع نطاقاً وارقى علماً فظهرت في المانية باسم الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG) كان اول ظهورهـا سنة ١٨٤٥ ونشرت مجلتها سنة ١٨٤٧ فخدمت منذ ذاك الحين الاداب الشرقيَّة خدماً لا تُنسى ومجموع هذه النشرة يُعدّ اليوم كخزانة كتب واسعة تحتوي طُرَفاً جليلة من سائر فنون الشرق ومعارفه. وقد احتفلت هذه الجمعيَّة قبل سنتين بيوبيلهـا الخمسيني وناهيك بذلك شاهداً على ثباتها وترقي اعمالها

اما الذين اشتهروا بين المستشرقين بتآليفهم العربيَّة فليس منهم احد نال فخرًا كالعلامة البارون دي ساسي (Baron S. de Sacy) فانَّ هذا الرجل العظيم فضلًا عن علمهِ العجيب بلغات الشرق بعث في قلوب آل عصرهِ روح الغيرة والهمة فكان كمنار استضاء بهِ طلبة العلوم الشرقيَّة في كل انحاء البلاد وكالقطب دارت حولهُ كل مساعيهم في استخراج كنوز آداب الشرق

ولد دي ساسي في باريس سنة ١٧٥٨ وفيها توفي سنة ١٨٣٨ . ما كاد هذا عيط عنه التائم حتى نبغ في المعارف ولاسيما في درس اللغات ولم يكتفِ بالالسنة الاوربيَّة بل طلب لغات الشرق فاخذ منها شيئًا عن علماء زمانهِ منهم الراهب البندكتي الشهير دون برترو (Dom Berthereau) فتعلَّم اولًا السريانيَّة ثمَّ الكلدانيَّة والسامريَّة ثمَّ العربيَّة ثمَّ الفارسيَّة والتركيَّة وكان يعرف اكثر هذه اللغات معرفة جيِّدة كما يلوح من منشوراتهِ وتآليفهِ لكنهُ كان يحكم آداب اللغتين العربيَّة والفارسيَّة حتى سبق في معرفتهما علماء زمانهِ شرقًا وغربًا . ولو عددنا كل ما قام بهِ هذا الهمام من المشروعات في تعزيز العلوم الشرقيَّة من تعليم وكتابة وانشاء مجلَّات وادارة دوائر علميَّة وتنظيم مكاتب لاتَّسع بنا الكلام كثيرًا وحسبنا ان نقول انهُ نشر نيفًا ومئتي تأليف في كل علوم الشرق ولغاتهِ وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع الفائدة نذكر منها غراماطيقة العربي في مجلدين كبيرين ومنتخباتهِ العربيَّة في ثلاثة مجلدات وطرائفهُ اللغويَّة في مجلد كبير وتاريخه لعرب الجاهليَّة وتعريف ديانة الدروز في مجلدين وكتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريري مع شروح مستوفية بالعربيَّة في مجلدين ورحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر . فترى من هذه القائمة ما للبارون دي ساسي من الفضل العميم وكان مع علمهِ كثير الدين حريصًا على كل وصايا الكنيسة متبعًا لتعاليمها

ومات قبل دي ساسي رجلٌ آخر حظي شهرة بمنشوراتهِ عن علوم العرب الفلكيَّة وهو جان جاك عمانويل سيديو (J.-J. E. Sédillot) ولد سنة ١٧٧٧ ودرَّس في مكتب اللغات الشرقيَّة ثمَّ انقطع الى درس النجوم فنقل الى الافرنسيَّة كتاب الآلات الفلكيَّة المسمى جامع المبادئ والغايات لابي الحسن عليّ المراكشي وتآليف ثابت بن يونس ولابي الوفاء وكتب عدَّة مقالات في تاريخ الشرق وعلومهِ الرياضيَّة . كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٢ . وسيأتي ذكر ولدهِ في محلهِ

وزاد على سيديليو شهرةً مستشرق افرنسي آخر كوسان دي پرسڤال (J. - J. A. Caussin de Perceval) كان مولدهُ سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٣٥. تولى نظارة المخطوطات الشرقيَّة في باريس وعلَّم اللغة العربيَّة في مكتبها الملكي والَّف كتباً عديدة في آداب العرب وتاريخهم منها المعلَّقات السبع وكتاب الزيج الكبير الحاكمي لابي الحسن علي ابن يونس الفلكي وكتاب الصور السماويَّة للشيخ عبد الرحمن الصوفي ونقل الكتابين الى الافرنسيَّة وطبع ايضاً مقامات الحريري ولمثال لقمان وملحقاً على كتاب الف ليلة وليلة في مجلدين وتاريخ صقليَّة من عهد الاسلام للنويري وخلَّف ابناً اشتهر مثلهُ في معرفة احوال العرب سنذكرهُ

ومن تلامذة دي ساسي الذين توفَّاهم الله في هذا الزمن جوبار (Pierre Amédée Jaubert) كان درس اللغات الشرقيَّة في باريس ورافق نابوليون الاوَّل في رحلتهِ الى مصر بصفة ترجمان ثمَّ تجوَّل في انحاء ارمينية والعجم وكتب اخبار رحلتهِ وعلَّم في عاصمة فرنسة اللغتين التركية والفارسية وصنف فيها كتباً وكان يُحسن العربية وهو الذي نقل جغرافية الشريف الادريسي (نزهة المشتاق) الى الافرنسية في مجلَّدين طُبعا في باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٤٠ وترجم ايضاً كتاب تاريخ غانة

وممن تخرجوا ايضاً على العلامة دي ساسي جان همبرت (J. Humbert) كان مولدهُ في جنيفة عاصمة سويسرة سنة ١٧٩٢ وفيها درَّس اللغات الشرقية بعد ان تلقَّنها في باريس. وكان عالماً باللغة العربيَّة ولهُ فيها بعض اثار مشكورة منها منتخبات شعريَّة مع ترجمتها الى الافرنسية وعدَّة كتب مدرسية لدرس العربية صنفها في اللاتينية والافرنسية ومنها مقالات انتقاديَّة ونظريَّة في علوم العرب ولغتهم توفي همبرت سنة ١٨٥١

وازهر في هذا الزمان بعض المستشرقين الالمان منهم ارنست فردريك روزنمولر (E. F. K. Rosenmüller) من اساتذة اللغات الشرقية البارعين مات سنة ١٨٣٥ وكان مولده سنة ١٧٦٧. اخذ العلوم الدينية عن ابيه احد كبار علماء البروتستانت ثم درس في ليبسيك اللغات الشرقية ولما اتقنها صار احد اساتذتها ولهُ مطبوعات متعدِّدة تدلُّ على براعتهِ في معرفة اللغة العربية منها غراماطيق عربيّ في اللاتينية ومنها مقتطفات في ثلاثة اجزاء مع ترجمتها الى اللاتينية وكذلك نقل اليها معلَّقة زهير وبعض مقامات

الحريري وطرقًا من امثال الميداني لكنّ معظم كتاباته كانت في تفسير الاسفار المقدّسة توفي في ليبسك سنة ١٨٣٥

وفي سنة وفاة روزنمولر ١٨٣٥ توفي وطنيُّهُ الشهير كلابروث (H. G. de Klaproth) ولد في برلين من اسرة شريفة سنة ١٧٨٣ وكان ابوهُ احد علماء الطبيعة المعدودين وآثر ابنهُ درس اللغات الشرقية ورحل الى روسية لهذه الغاية وتجوّل في اقطار اوربّة ثمّ عاد الى وطنهِ فقلّدتهُ الحكومة تدريس العلوم الشرقية فقام بمهنته احسن قيام. وهو ممّن سعوا في مقابلة لغات آسيا وبيان ائتلافها فألّف في ذلك كتابًا كبيرًا ولهُ كتاب آخر في الاصول السامية (Asia Polyglotta) وقد صنّف تآليف غيرها في معظم لغات الشرق وفي تاريخ امهِ وآدابها . وبرّز خصوصًا في اللغات التتريّة والكرجية

واشتهر في زمانهِ المعلم هابخت (C. M. Habicht) ولد في برسلو سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٩ جاء باريس في عهد دي ساسي ودرس عليهِ وعلى الاب رافائيل المصري اللغة العربية ثمّ عُهد اليهِ بتدريسها في بلدهِ وقد نشر مجموعًا من الرسائل العربية المكتوبة في مراكش ومصر والشام ونقلها الى اللاتينية ثمّ طبع نخبةً من امثال الميداني وعلّق عليها التعليقات الحسنة وهو اول من سعى بطبع كتاب الف ليلة وليلة فباشر بهِ سنة ١٨٢٥ وطبع منهُ ثمانية اجزاء قبل وفاتهِ ثم انجز الباقي منهُ انعلم فلّيشر ولهابخت ترجمة الثانية لهذا الكتاب مع عالمين آخرين من تلامذتهِ هاغن (V. d. Hagen) وشال (Schall) ولهُ ايضًا عدّة مقالات في المجلّات الشرقية

ومن افاضل المستشرقين الالمان الذين فقدهم العلم في هذا الطور جزنيوس (H. W. Gesenius) ولد سنة ١٧٨٦ ومات سنة ١٨٤٢ انقطع منذ صغره الى درس اللغات السامية فبرّز فيها وصار في بلادهِ اماماً يُقتدى بمثلهِ ويؤخذ عنهُ قيل انّ عدد حضور دروسهِ اربى في مدينة هالّ على الالف. وقد ترك آثارًا جليلة في اكثر اللغات الشرقية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميريّة والسامريّة لكنهُ كان في العبرانية حجّة ولهُ المعجم الكبير في ثلاثة مجلدات لا يزال العلماء يرجعون اليهِ وقد طُبع الطبعات العديدة. وكان يُحسن ايضًا العربية كما يظهر من مقالتهِ في المعجمين السريانيين والعربيّين لبَر علي وبَر بهلول ولرسالتهِ في اللغة المالطية

واشتهر في هذا الزمان كاتب آخر من مستشرقي الالمان هـ. بولس (H. Eb. G.

(Paulus درس اللغات الشرقية في كلية تونغ ثمَّ في لندن وفي اكسفرد واشتهر في الدروس الكتابية وشرح الاسفار المقدسة مع كونهِ لم يعتقد بالوحي. ولهُ من الآثار العربية كتاب مختصر في اصولها باللاتينية وسعى بطبع الترجمة العربية للكتب المقدَّسة التي ألَّفها سعدي الفيومي في القرن التاسع للميلاد وعلَّق عليها شروحاً. كان مولدهُ سنة ١٧٦١ ووفاتهُ سنة ١٨٥٠

وعُرف ايضاً في هذا الطور الالمانيُّ فراهن (C. M. Frahen) ولد في روستك سنة ١٧٨٢ وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ كان من كبار المستشرقين الالمان واشتهر خصوصاً في معرفة النقود الشرقية القديمة ولهُ من التآليف نيف و٢٠٠ كتاب وقد نشر عدَّة مصنفات عربية ونقلها الى اللاتينية اخصها رسالة ابن فضلان في الرُّوس نقلها الى الالمانية واضاف اليها ما وجدهُ في كتب العرب عن قبائل روسيا القديمة ومنها كتاب تحفة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقي انجزهُ بعد وفاته العلَّامة مهرن (Mehren) ومنها مقالة ابن الوردي في مصر اخذها من كتابه خريدة العجائب. ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في النقود العربية

اما الانكليز فعُرف منهم في هذا الزمان وليم مارسدن (W. Marsden) كان مولده في دوبلين سنة ١٧٥٤ ثمَّ رحل الى سوماترا وبقي فيها مدَّة ووضع تاريخها وكتب في اللغة الماليزيَّة واشتهر بكتاباته في النقود القديمة والنقود الاسلامية وكان لهُ مكتبة شرقية كثيرة المخطوطات العربية اهداها الى خزانة المتحف البريطاني. كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٦

ولم يبلغ احد في هولندة ما بلغهُ في هذه المدَّة الاستاذ هماكر (H. A. Hamaker) ولد في امستردام سنة ١٧٨٩ وتخرَّج على المستشرق فلمت (ص ٨٠٧) وتعلَّم بزمن قليل اللغات السامية فضلاً عن سائر لغات اوربَّة وانتدبتهُ الحكومة الى التدريس في كلية ليدن فعلَّم هناك العربية والسريانية والكلدانية واحرز لهُ شهرةً قلَّما يبلغها العلماء وابقى آثاراً عربية متعدِّدة منها وصف المخطوطات العربية في مكتبة ليدن ونشر قسماً من تآليف بعض مشاهير العرب كالواقديّ والمقريزي ورسالة ابن زيدون وتاريخ احمد ابن طولون. واشتهر كثير من تلامذته

(لهُ بقيَّة)

الاحكام النهائيّة في القطاعات الرهبانية

لحضرة الخوري تيموثاوس جقّ احد تلامذة مدرسة القديسة حنة (الصلاحية)

ان الرسالة الزاخرية التي نشرناها في اعداد المشرق السابقة تستدعي لها ملحقاً ليعرف القرّاء ما جرى بعد ذلك من تساهل الرؤساء مع الرهبان الملكيين في امر القطاعات

ومما لا ينكر انّ تلك الرسالة اتت وقتئذٍ بمنافع عديدة وافادت طغمة الرهبانيتين الشويرية والمخلصيّة واخمدت نيران الجدال القديم وفيما بعد أعدّت الرهبان المخلصيين لقبول قانون القديس باسيليوس الكبير الذي ارسلهُ لهم رئيس الاحبار البابا بناديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٤٥ عقيب تقريبهِ عن اصلهِ اليوناني بهمّة الاب ثاوفيلوس فارس الحلبي احد رهبان مار يوحنا الشوير إذ كان وقتئذٍ في رومة. الّا ان اتحاد الرهبانيتين لم يتمّ لاسباب نضرب الصفح عن ذكرها

غير ان المناظرة في مادة ترخيص اللحوم للرهبانيات الشرقيّة اتّسع نطاقها في الرهبانيّة الشويرية المحافظة على العوائد والطقوس الشرقيّة ففتحت باباً واسعاً للقيلْ والقال ثم اتّصلت الى ان عمّت جميع ابناء الرهبانية وخاصةً عقيب وفاة الطيب الاثر الخوري نيقولاوس الصانع

ففي سنة ١٧٨٧ في ٤ ت ٢ عقدت هذه الرهبانية مجمعاً عاماً في دير القديس جاورجيوس الشير فاقامت الخوري اغناطيوس ارقش الحلبي رئيساً عاماً ثم جرت في امر القطاعات مباحثات طويلة اشغلت آباء المجمع اياماً عديدة واخيراً اجمع رأيهم على اطلاق اكل اللحم في الرهبانيّة بنوعٍ خاصّ وعمومي عقيب ان يقنعوا على نيّة السيد البطريرك ويستأذنوهُ بكل خضوعٍ واتضاع فكتبوا عرضاً بهذا الشأن وارسلوهُ صحبة الابوين القس اكاكيوس والقس بطارس فهذان اوضحا لقدسهِ صوابيّة اكل اللحم جهاراً بامر الطاعة واعربا لهُ عن افكار الاباء المدبّرين والرؤساء ولطف الرهبان في هذا الشأن وان بتلك الواسطة تُحسم شرور كثيرة فحينئذٍ انعطف خاطر السيد البطريرك واذن للرهبان الشويريين بمطاليهم بموجب منشورٍ ارسلهُ لهم في ذلك الحين وهذه صورتهُ:

المجدُ للهِ دائمًا

ثاوضوسيوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

بعد البركة الرسوليَّة الى الاباء الاحباء مجمع رهبان ماري يوحنا الاب العام المتوري بولس (١ الجزيل الاكرام والمدبرين الاكرمين وباقي اولادنا المكرمين

انهُ قد وصلنا العرض المقدم لنا منكم بواسطة اولادنا الروحيين القس كاسيانوس والقس بطرس المكرمين بخصوص التفسيح في هل اكل اللحم للرهبنة عموماً والاذن بذلك إذ كانت راحة الرهبنة بهذا التفسيح واستعمال اكل اللحم تحصُل به الفائدة والراحة للرهبنة وحسم المقال والسجس الدائم وضيق الاوقات وكثرة الامراض وبخلاف ذلك اي بعدم استعمالهِ تُعدم هذه الفوائد كلها فاذا كان هذا مطلوبكم الصوابي الشرعي كما لا يخفانا ذلك باعظم ما شرحتم فمن ثمَّ اذا كان يخصنا التفسيح في مثل هذا وغيره نفسح ونحلّ لجميعكم المذكورة عموماً رهبانًا وراهبات ان تأكلوا لحماً بسلامة الذمة وزوال كل فكر مضاد إذ كنا قد رفعنا عنكم ما كنتم ملتزمين بهِ سابقًا حينما لم يكن مفيدًا لكم من جهاتٍ كثيرة ثمَّ نبارككم جميعاً ونملكم من الالتزام السابق باسم الاب والابن والروح القدس امين

جرى بدَير انطونيوس القرب (٢

في ٦ ت ٢ سنة ١٧٨٧ + ثاوضوسيوس

محل الختم البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

فبعد وصول هذا المنشور البطريركي ابتدأت الرهبانية ان تاكل لحماً بكل سلامة ضمير وحينئذٍ بطلت تلك المخالفات التي كانت تصنع سرًّا . هكذا اقتبسنا من انوار السجلات الرهبانية التي بين ايدينا

وفي سنة ١٧٨٨ في شهر اذار انتقل السيد البطريرك ثاوضوسيوس الدهان الى رحمة الله في دير القديس انطونيوس القرب او القرقفة بموت صالح وخلفهُ السيد اثناسيوس جوهر على السدة الانطاكيَّة فهذا عقد مجمعاً في دير المخلص سنة ١٧٩٠ (٣ واصدر فيهِ اوامر عديدة تختص بالرهبان الشويريين من جملتها الامتناع عن تناول الزفر على

---

١) ان هذا الاب ضد ارتقائه الى سدة الرئاسة العامة اتخذ اسم اغناطيوس وعُرف بهِ الى ان توفاهُ الله كما ذكرنا في مقالتنا السابقة على الرهبانيَّة الباسيلية الحلبية

٢) هو دير القديس انطونيوس الملقب بالقرقفة فوق قرية كفرشيا ابتنى فيهِ السيد ثاوضوسيوس محلًّا منفردًا جعَل فيهِ اقامتهُ مدة جلوسهِ على السدة الانطاكية

٣) راجعْ تفاصيل هذا المجمع في السنة التاسعة من هذه المجلة (ص ١٣٩ الخ)

موائد الاديرة القانونيَّة فارسلوا اوقفوهُ على منشور البطريرك ثاوذوسيوس الدهَّان فعدَّل عن نهيهِ الَّا انهُ سمح للرهبان الشويريين ان ياكلوا لحماً مرةً واحدةً في كل سبَّةٍ وفي اربعة ايام المرافع (١ لا غير وهذا ما نصهُ لهم بالحرف:

انهُ اذ كان تناول الزفر في جمعيتكم امرًا ممنوعًا منعًا كليًّا بموجب العهد المثقل الذي عاهدتموه على انفسكم حين ابرزتم النذور الاحتفاليَّة وقبلتموهُ وعليهِ اسس متقدمو هذه الجمعيَّة المباركة منذ الابتداء الرسوم والفرائض وارادوا ان تنالَ حظ التثبيت الاحتفالي فمن ثمَّ كان الامتناع عن الزفر بهذه الجمعية امرًا لازمًا وواجبًا كما هو رأينا ورأي استفكم (٢ واكثر اخوتنا الاساقفة المحترمين. الَّا انهُ اذ كان حضرة والدنا الاب الحنوري اغناطيوس الرئيس العام الجزيل الاكرام قد اوضح بمجمعنا هذا المقدس عدم امكان قبول هذا الامر كليًّا وانهُ يرتئي ان يحدث ضررًا وخرابًا للرهبنة بجملتها وهذا الادعاء نفسهُ تقدَّم للمجمع المقدَّس ونيافتهُ سلم الفحص عنهُ بمجمعنا البطريركي فمن ثمَّ بعد ملاحظة الظروف كلها وحال الرهبنة والاوقات الحاضرة مع اعتبار قانون القناعة والامساك والتزام السيرة الرهبانية فقد اذن بمجمعنا هذا المقدس باستعمال الزفر لجميعكم المباركة ضمن الاديرة القانونيَّة في كل سبَّةٍ مرة واحدة فقط اما غير الاحد او في غير يوم من ايام السبة واربعة ايام المرافع لا غير. واما استعماله فيكون بالنوع البسيط الذي في بذخ اهل العالم. الَّا ان المرضى الغير الاعتياديين فلهم ان يستعملوه حسب تدبير الاطبَّاء. مدَّة تشويشهم اما المرضى الاعتياديون فتكفيهم تلك المرة في السبَّة مع امتناعهم عن الزيت واستعمالهم البياض المُباح لهم حسب تدبير الطبيب

وكان وقتئذٍ عُقدَ مجمع الرهبان الشويريين العام في دير الصايغ فلما اطَّلعوا على تلك الاوامر الشاقة اوقفوا اعمال المجمع العام وارسلوا يستعطفون خاطر السيد البطريرك فلم يرضَ بابدال ما سطرهُ لهم من القوانين الكنسيَّة والرهبانيَّة. حينئذٍ رفعوا دعواهم الى المجمع المقدس وكتبوا عرضًا مستطيلًا بهذا الشان واستمرُّوا على خطتهم الاولى في استعمال اللحوم

وكان راهبان من جمعية مار يوحنا الشوير يتعاطيان وقتئذٍ صناعة الطب في الرهبانية ويُعالجان اسقام الفقراء المجاورين إذ لم يكن اطباء في تلك الايام. فلما علما بالمنشور البطريركي توجَّداهُ وطلبا ان يُعفيا من استعمال تلك الصناعة في الاديرة وخارجًا عنها. الَّا انهما لم يلبثا ان قدَّما كلٌّ منهما عرضًا مستطيلًا فيهِ اوضحا لزوم

١) اعني في ٩ ك ١ وفي ١٦ حزيران وفي ٣١ تموز وفي احد مرفع اللبن قبل الصيام الكبير
٢) السيد اغناطيوس صرُّوف الذي كان سابقًا راهبًا من جمعية الشويريين

استعمال اللحوم في الاديرة القانونيَّة لسبب حصول الامراض المتنوعة بين الرهبان والعالمين فكتب الاول اعني الاب الخوري اكليمنضوس الطبيب ما نصهُ :

ايها الاباء المحترمون

بعد تقبيل ايديكم والتماس دعاكم اعرض لجمعكم العام انني في حزن عظيم مع مرارة القلب من قبل بعض اشخاص لم يفهموا حقائق الامور التي ينسبونها الى المعلّم جبرائيل الطبيب والاخ زكّا والى الفقير وهي اننا نحن قسَّحنا للرهبنة اكل اللحم وشرب الدخان بالاجازات التي اعتاد الاطباء اعطاءها للمرضى وأحال انهُ في الجمع العام الذي عُقد بدير القديس انطونيوس القرقمة في ٩ اذار سنة ١٧٨٥ قد قبلتُ انا الفقير بخضوع العقل ذاك الختم الذي صدَّر من الرهبنة بان لا احد يتناول لحماً ولو حصل في ضرورة الموت نفسها الَّا انهُ في هذا الجمع المذكور ذاتهِ قد رذل هذا الختم قدس السيد البطريرك ثاوضوسيوس المرحوم والسيد المطران اغناطيوس صروف وقالا باستعمال اكل اللحم في الرهبانية بدون خطر الضمير فحينئذٍ قُدّمت الرهبنة تدبير هذا الامر قدس السيد البطريرك والرئيس العام الخوري ثاوفانوس الفاضي فحُرر في اعمال الجمع العام وكان ذلك بحضور القاصد الرسولي السيد بطرس موريا في الدير المذكور

وبما ان الانسان لا يحسن تبرير نفسهِ بل من الواجب ان ينال التبرير من غيرهِ فالفقير على ما يظهر لي ارى ان الامراض الحادثة في اغلب اباء الرهبنة هي تبرّر لي وتبريري من الاطباء اذا عرضت على ذوي الخبرة . فاقول انه يوجد في الرهبنة والراهبات جملة اشخاص مبتلين بامراض الفالج واكثر من هؤلاء عددًا هم الواقعون في الامراض الصدرية كالسل وشبهه مع نزولات ذات الجنب وذات الرئة فهذا الداء قد افنى كثيرين في تلك البلاد ولقد تكاثر ايضًا جدًا جدًا في الرهبانيَّة داء المراقيًا (كذا) واضرَّ في عدد الرهبان والراهبات وكذلك اوجاع المفاصل بانواعها كالنقرس وغيره هذا ما عدا اوجاع العين التي قلَّت فيهم واذاقتهم مرارة لا تطاق فمنهم من فقدوا بصرهم ومنهم من قاربوا تلك البلية العُظمى

فهذه الاوجاع الثابتة في الرهبنة والمعروفة عندي انا الفقير كما وعند غيري ايضًا بل وعند جميعكم ايها الاباء المحترمون اذا عُرضت على ارباب الاطباء وحُكم عليَّ بقصر الباع في امر علاج الامراض المتوَّه عنها وأُطلقت عليَّ الملامة فاكون ملامًا واما الملامة التي تصدر من بعض اشخاص لا يفهمون حقائق تلك الامراض فلا اقدر احتمالها وان لي سبعة وعشرين سنة في خدمة اخوتي الرهبان والراهبات لم اسمح بها ان احدًا يتناول الزفر بدون ضرورة كلية او جزئية وحقًا من كان يكتفي بالارز في ايام الصيام فلم نرخص لهُ بالسمن وكذلك من كان يكتفي بالسمن فلم نأذن لهُ باللحم

ومع هذا فانا كُنا حافظين مع الاذن بتناول الطعام قانون القناعة وملاحظين الامر الذي لا بُدَّ منهُ نظرًا الى التشويش الحاصل لذاك الشخص بالكمية والكيفية

فالي من قلبكم ان تعفوني من هذه الوظيفة اي من تطبيب الرهبان والراهبات لاني اذا اذنت لهم بتناول الزفر حسبما تقتضيهِ صناعتي اكون ملامًا وان لم اسمح لهم بذلك فبالحقيقة اكون

ظلمتهم وانهُ لم يعُدْ لي قلبٌ للاحتمال لاسيما بعد وقوفي على منشور السيد البطريرك اثناسيوس الآمر بهِ بالحتم تحت الخطا ان لا يصير تناول الزفر الّا مرة في كل اسبوع مع ايام المرافع الاربعة اما انتم فارتأيتم ان يكون هذا الاستعمال جاريًا مرتين لا غير في كل سبتٍ

فناشدتكم الله اذا تناول الزفر اصحاب تلك الاوجاع مرّة واحدة في الاسبوع وفي بقية ايام السبة تناولوا العدس والفول والحلوطة وما اشبه ذلك فهل يستفيدون من تلك الاكلة الواحدة او هل تلك الاكلة المفردة يقوم نفعها بمقام ضرر تلك الاكلات جميعها في باقي ايام السبة

وان جذا كفاية لذكاء فهمكم وتنوير بكل خضوع طائع لمجمعكم غير ان املي وطيد بان ترفعوا عني هذا الثقل الباهظ الذي لا اقدر احتمالهُ مع سلامة الضمير ودمتم لتلميذكم

حرر في ٦ ك ١ سنة ١٧٩١ القس اكليمنضوس

الطيب

قب

فهذا العرض اتبعهُ الاخ زكّا الطبيب الراهب القانوني بعرض آخر باسمهِ واثبتهُ كما ياتي :

انني اشهد بموجب ذمتي ومقتضى معرفتي بصناعة الطب واطلاعي على جميع هذه الامراض المشروحة بانهُ يجب ذمةً تناول الزفر في الرهبنة حيث ان اكثر ابنائها رهبانًا وراهبات حاصلون على هذه الامراض المشروحة من القس اكليمنضوس الطبيب ثم انهُ بموجب حتم منشور قدسهِ ان لا احد يتناول الزفر الّا مرةً بالاسبوع يلزمنا ان نمتنع عن مماطلة الطب مع ابناء الرهبنة لاجل سلامة ضميرنا حيث انهُ انعجز عنا الاذن بما تقتضيهِ صناعتنا تلميذكم

الاخ زكا

الطبيب

قب

اما الرهبانية فما زالت مواظبةً على الخطة التي تبعتها سنة ١٧٨٧ عقيب المنشور البطريركي الذي اثبتناهُ سابقًا بالحرف وحتى الان تستعمل اكل اللحوم في الاديرة القانونية ثلاث مرات في السبت يوم الاحد ويوم الثلثا ويوم الخميس أما يوما الاثنين والسبت فالرهبان يتناولون البياض واما يوما الاربعاء والجمعة فينقطعون عن اللحم والبياض ويأكلون طعامًا بزيتٍ غير انهم لا يبرحون عن ممارسة القطاعات الثلاث التي ذكرناها سابقًا كما وانهم لا يفترون ايام الصوم الاربعيني في التعبد لله عزّ وجل محافظين على الصيام الطبيعي ومنقطعين عن الزفرين

هذا وانهم لا ينقطعون عن استعمال اللحوم ايام المرافع حتى وفي الاعياد السيدية والممتازة ولا يمنعون المرضى عن ذلك بل يجرون بالعمل على مشورة الطبيب واوامرهِ

ولقد حكم في ذلك حكماً نهائياً السيد البطريرك مكسيموس مظلوم في منشوره المرسل الى الرهبان الباسيليين الحلبيين وهذا قولهُ عن النسخة الممضاة بختمهِ بحرفها الواحد:

المجد لله دائماً

مكسيموس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي والاسكندري

والاورشليمي وسائر المشرق

اعلامٌ بالرب لكل مطلعٍ عليه او سامع اياه وهو

انهُ لقد عرض لدينا ما يأتي شرحهُ وهو:

اولاً ان اولادنا الاعزاء رهبان الثلاث الرهبنات الباسيلية القانونية التي في طائفتنا الروم الملكية الكاثوليكية لا يحفظون في ادبرتها التي للرهبان والتي للراهبات طريقةً واحدة متساوية بخصوص قطاعتي عيد الميلاد الشريف وعيد الرسل القديسين الاطهار بل انهم في بعض الاديرة يتمّمون هاتين القطاعتين حسب طقسنا اليوناني القديم خلوّاً من تفسيح ما واما سكان باقي الاديرة فيطلبون وينالون من اساقفتهم تفسيحات سنوية اكثر او اقل حسب الاحتياج

ثانياً انه في اماطيش هذه الرهبنات فسكانها الرهبان يشتركون بالتفسيحات السنوية التي تُعطى للعلمانيين بغير تفسيحٍ خصوصي لهولاء الرهبان

ثالثاً ان البعض منهم القاطنين في الديورة الحافظين القطاعتين المرقومتين بموجب الطقس عينه فحينما يتوجّه اناسٌ منهم بالاذن القانوني الى اماطيشهم لاجل بعض مصالح فيشاركون سكان الاماطيش بالتفسيحات ولئن كانوا ابتدأوا بالقطاعة اياماً ما قبل انزاحهم عن تلك الاديرة وهذا يفعلونهُ بمجرد الاشتراك مع اخوتهم او مع الرعية خلوّاً من تفسيح خصوصي لهم ولمّا يرجعون الى ادبرتهم قبل زوال ايام التفسيح فيعودون الى القطاعة

رابعاً انه يحدث للرهبان الذين بامر الطاعة القانونية ينتقلون من دير تكون ابتدأت فيه القطاعة كحسب الطقس الى دير اخر تكون سكانه فائزين بالتفسيح فيشاركونهم به بدون اذن خصوصي

خامساً ان هذا نفسهُ يتمّ مع اولئك الكهنة الرهبان او الشمامسة الرهبان الذين في بحر القطاعتين المرقومتين بعد ان يكونوا ابتدأوا جما بموجب الطقس يرسلون وقتيذٍ الى خدمة الرسالة او الى تعليم الاولاد في المكاتب فيشتركون بالتفسيحات السنوية الجارية عند الرعايا في الامكنة التي هم ينطلقون اليها بغير نوالهم لذواتهم التفسيح اللازم

سادساً واخيراً انهُ حاصل تشكي صوابي من سكان الاديرة التي فيها تُحفظ القطاعتين بدون تفسيح وتشكيهم هو من عدم حصولهم بسهولة على الاشياء القطاعية في الوقت نفسهِ الذي فيهِ سكان الاديرة الاخر ينالون التفسيح مع ان الاشياء القطاعية توجد هناك باكثر سهولة جداً وهذه الظروف كلها تسبب بلبلة وتذمراً لاجل عدم حفظ المساواة فيما بين سكان الاديرة كافةً كما انها تسبّب تولداً

من تعب الضمير لاولئك الذين كما اشرنا آنفاً يشتركون مع الغير بالتفسيحات السنوية من دون اذن خصوصي لهم من السلطة الاسقفية . ومن ثم وردت الينا تقارير في هذا الشان من اولادنا رهبان بعض الاديرة تشير الى ما تقدم ذكره وتتضمن التماسهم سنا تدبير طريقة المساواة فيما بين سكان الاديرة عموماً

فنحن قد كتبنا الى حضرة اولادنا الاعزاء رؤساء عام الثلاث الرهبنات المار بل اكرامهم طالبين منهم ان يعرفونا حقائق سلوك رهبان اديرتهم بهذا الخصوص فوردت الينا منهم الاجوبة مؤرخة في ٢٦ ت ٢ المنتهي وفي ٢ كانون الاول الحاضر ثم في ١٠ منهُ ومن تلاوتنا اياها تحقّق لدينا وجود الستة الظروف المقدم شرحها ومن ثم رأينا ضرورياً ان نرسم طريقة المساواة فيما بين اعضاء الثلاث الرهبنات المذكورة اجابة للالتماس المنوّه عنهُ وصدًا لاسباب التشكي وراحةً للضمائر ومنعاً لحدوث البلبلة ومراعاةً لسكان الاديرة البعيدة عن البنادر وملاحظةً لفصول السنوية واشفاقاً على كثيرين من الرهبان المتقدمين في السنّ او المتوعين نوعاً في صحّتهم ولهذا بسلطتنا البطريركية قد منحنا ونمنح التفسيح لجميع اعضاء الثلاث الرهبنات الحلبية والشويرية الحلية والشويرية البلدية رهباناً وراهبات بالصورة الآتي شرحها وهي :

اولاً ان جميع الذين من اعضاء هذه الثلاث الرهبنات يقطنون في الاديرة او يستخدمون باتمام خدمة الرسالة في الرعايا او يخدمون المكاتب فهؤلاء كلهم يشتركون بالتفسيحات السنوية التي تعطى للساكنين سكان الاماكن

ثانياً كل الرهبان الذين باذن الطاعة القانونية يذهبون الى الاناطيش الى خدمة الرسالة فهم ايضاً داخلون في اتمام التفسيحات المرقومة خلواً من تعب الضمير

ثالثاً في جميع اديرة هذه الرهبنات فلتكن قطاعة عيد الميلاد الشريف خمسة عشر يوماً فقط وقطاعة عيد الرسل الأطهار فلتكن اثني عشر يوماً لا غير

رابعاً جميع سكان هذه الاديرة يستطيعون ان يستعملوا اكل السوكات في ايام قطاعات السنة كلها وفي ايام الاربعاء والجمعة وفي ايام البارامونات ثم في الصيام الكبير المقدس تفسح بدون استثناء

خامساً انهم يستعملون اكل الزفر في جمعة الباض عينها ما عدا يومي الاربعاء والجمعة منها بياضاً وقد منحنا هذه التفسيحات لسكان الاديرة تحت الشروط الاتي شرحها وهي :

اوّلاً انه في الايام التي فسّحنا فيها من قطاعتي عيد الميلاد والرسل خارجاً عن الخمسة عشر يوماً وعن الاثني عشر يوماً الباقية يلزمهم ان يكتفوا باكل الزفر يومين في كل سبتٍ وهما يوما الاحد والخميس ثم ياكلوا في ايام الأثنين والثلاثاء والسبت بياضاً

ثانياً ينبغي لهم ان يحفظوا جميعاً القطاعة عن الزفر بن في ايام الاربعاء والجمعة في مدار السنة كلها حفظاً مدققاً (ما عدا جمعة الفصح المجيد وجمعة العنصرة وجمعة المخالفين والاثنى عشرية من الميلاد الى النطاس) لأن هذه القطاعة هي من التقليدات الرسولية ولأن حفظها لا يضرّ الصحة لوجود نهار الخميس فاصلاً بين الأربعاء والجمعة ويؤكل فيه الزفر

ثالثاً انهُ في الأيام التي فسحنا لهم ما كل الزفر فيها ينبغي ان يصير الاكتفاء باكلة واحدة زفرية ضمن الاربع والعشرين ساعة اما في الغداء واما في العشاء ولتكن الاكلة الثانية اما قطاعية من الزفرين واما بياضاً

رابعاً ان اكل السمك يجب ان يكون كذلك في الايام القطاعية اي مرةً واحدة فقط في اليوم الطبيعي وتكون الاكلة الثانية خالية من السموكات وهذا السلوك يحصل نوع ما من التمييز فيما بين العيشة الرهبانية وبين العيشة العلمانية

خامساً يلزم ان تُدان هذه التفسيحات كلها مرَّة واحدة في كل سنة يوم عيد المختان السيدي في كنائس الاديرة جميعها لكي يُعرف من ذلك انها هي تفسيحات سنوية لاجل الاسباب المتقدَّم ايرادها وليست هي تفسيحات دائمة مؤبدة ومن ثم يُفهم ان شربة العسليات والقطاعات في طقسنا اليوناني لم تزل في قوتها والزامها وانهُ يعطى التفسيح في بعض اجزائها كما شرحنا لاجل الاسباب المرقومة اعطاء سنوياً لا ابدياً ثالثاً لجميع ما املَيناه في منشورنا الحاضر قد امضيناهُ بخط يدنا مسهوراً بختمنا صانعينهُ ثلاث نسخ اصلية مرسول كلٌ منها الى رئيس عام رهبنةٍ من الثلاث الرهبنات المذكورة لكي يرحمّه هو عنهُ الى كل من اديرة رهبنتهِ صورة مسجَّلة منه صح صح

اعطي من الديوان البطريركي في اليوم الخامس عشر من شهر كانون الاول ختام سنة خمسين وثمانمائة والف في مدينة بيروت محل الختم مكسيموس

البطريرك الانطاكي
والاسكندري
والاورشليمي

هذا ما استطعنا الاطلاع عليه في شأن هذه العوائد القديمة العهد والممدوحة من الاحبار الرومانيين ومن متقدمي الجمع المقدس خاصةً في الجيل الثامن عشر ولعلَّهُ فاتنا شيء من تلك الاخبار فنطلب الى المطَّلعين عليهِ ان ينشروهُ ولهم منا مزيد الفضل والامتنان وعلى المولى الاتكال في كل حال

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة للسابق)

ودونك ابواباً اخرى من هذا الكتاب الظريف الذي مرَّ لنا وصفهُ فانها كلها تنطق بحكمة كاتبها وحسن نظرهِ ولعلَّ اشياء كثيرة يخدع بها الباعة حتى يومنا

الباب الخامس في السوقة

ينبغي ان يعرَّف عليهم عريفاً ويأمر احدهم ان لا يتقدَّم فرشه خارجاً من سطبتهِ بشيء وان

يجعل فراش اكبرهم الى داخل حانوته واذا اجلس البياع على ميزانه صبياً دون البلوغ اشترط على معلمه انهُ اذا بخس كانت العقوبة واقعة به دون صبيه وبعد الشرط فلا يمنع الصبي التبيُّش. ويغيّر موازنهم (موازينهم) وصنجهم وافداحهم . . . وينبغي اذا شرع في الوزن ان يُسكن الميزان ويضع فيها البضاعة ولا يغمز حافة الكفة باصبعه فان ذلك بخس وتدليس . . . ويكون سائر ما يكتالون به محترزاً بالرصاص منقوشاً في طرفها اسم الامام لئلّا يبردوا رؤوس المكاييل بعد العيار فتنقص ويكون سائر ما كال به واسه اسفلهُ (كذا) او قريب منهُ ويتفقدها بعد ذلك كل قليل لئلّا يصبّ فيها ما ينقصها مثل الجبس وغيره وربما حُشيت اواني (اواني) الزيت التي يطوفون بها البيعة (كذا) والمكاييل بالقير في اسفلها ربقلها اذا خاف . ويُلزمون ان تكون موازين الارطال متعرضة في قرس الدكان ليشاهد الزبون ما يحمل به من الارطال عند الوزن والماكولات ويمنعهم ان يحملوا في كفّة الميزان خيطاً من حلفاء فانهُ يمنعها النزول ويحتبها بسرعة الرجحان . . (20) ويكون جميع موازينهم واوعيتهم التي لأطعمة الناس نظافاً (كذا) مصونًا بالأغطية والشدّ عليها ويُمنعوا ان يسقوا الجبن الناري بالزيت الطيب ولا بالسيرج لانهُ تدليس وربّما يخزوهُ بانواعهم فيكون ذلك ضرراً لمن يأكلهُ ولا يسقوا الجبن الحسي (كذا) في مظاهر (مطاهر) الحمامات ويمنع من يرطّب النمر بالماء . وكذلك باعة الزيت يمنعون من بخو بالماء . وينهاهم عن بيع ما دوّد من البطيخ والقثاء والتين والرُّطَب وما قد تناهى نضجهُ حتى جرى قشرهُ من جميع ذلك . ويكون ملاعق بيع الصابون من خشب فانَّ صدأ ملاعق الحديد يُبقي الصابون فانَّ طبوعها محرقة لما يتعلّق منهُ في الملابس . ويعتبر عليهم الزيوت في زمن تقانها فان (كذا) تُنش بزيت القرطم في زمنه الّا انَّ لهُ دخاناً عظيماً في النار . وهو يُخلط في السيرج لوقته (لرقّته) . وكذلك زيت الحسّ وهو يعرف بخفته في الوزن ورقته في الوعاء وشمه اذا مُسح به على ظهر اليد . وقد يخلط السيرج بالزيت للانتساق اذا غلى (غلا) سعرهُ وجسم السيرج اخف من جسم الزيت فلا يمكنهم من ذلك فانهُ غش وتدليس

واذا غشّوا الخل بالماء اغمس فيه حشيشة (21) من الرمث فانها تشرب الماء وتفيلهُ دون الخل . ومن معرفته ايضاً اذا صُبَّ الخلّ الخالص على الارض نشّ واذا كان معيوباً لم ينشّ . ومن معرفته ايضاً خذ خوصة اطلبها (اطلبها) بدهن او بزيت ثمّ اغمسها في الخلّ فان خرجت وعليها خل فنيه ماء وان خرجت ملساء ليس عليها شيء فليس فيه ماء . وكذلك اللبن الحليب اذا كان فيه الماء اغمس فيه شعرة فانهُ لم يطلع منهُ عليها شيء واذا كان خالياً من الماء طلع اللبن عليها مكللاً . وكذلك اذا غمست فيه الريش فانهُ يشرب الماء دون اللبن فتصفّهُ فيخرج في فيك واذا كان بلا ماء فانك تمصها ما يخرج منها شيء . ومن معرفته ايضاً اذا قُطر منهُ على خرقة سال كالدهن وجرى واذا لم يكن فيه ماء وقف

ثمّ يتتبع المؤلف في هذا الباب مبيعات اخرى من الخضر والبقول التي يخدع بها الباعة ليكون المحتسب على بصيرة من امورهم ويردعهم عن ذلك . ويلي هذا الباب باب آخر في الجزّارين والقصابين فيصف كيف يكون ذبح المواشي وطرائق التدليس في

بيعها وتمييز اللحوم والشحوم عن بعضها . ونضرب الصفح عن عدة ابواب مفيدة لا يسمح لنا المكان باثباتها كباب الشوّائين وباب الهرائسيين والزلابيين اي باعة الهريسة والزلابية وباب الطباخين وفيه من الملحوظات الدقيقة التي تبيّن ضروب مكر بعضهم في الطبخ وينبّه الكاتبُ العريف عليهم بأن «يطالبهم بنظافة آلاتهم كلها وغسلها كلّ يوم بالماء الحارّ والاشنان» ثمّ يذكر اسطرًا من كتاب للكندي في كيمية الطبخ نثبتها لئلّا تضيع قال (ص ٣٣):

وقد وجدتُ في الرسالة التي تُعرف بكيمية الطبخ التي ألفها (34) يعقوب بن اسحاق الكندي الى المعتضد الوانًا تُطبخ من غير لحم. وقلايا بكرد من غير كيزد. ومج (ومخ) من غير مخ. وتقانق من غير لحم. وعجّة من غير بيض. وجواديب من غير جبن ولا ارز. وحلاوة من غير عسل ولا سكّر. والوانًا كثيرة من غير عناصرها يطول شرحها وليس يُجتدى الى دقة صناعتها خوفًا (خوفًا) من التنبيه على عملها رجاء لثواب الله تعالى»

ومثل هذا الباب في فائدته باب الحلوانيين اي عملة الحلوى والناطف والقطائف وغيرهم لتركّباتها كابدال العسل برب العنب او بالدبس وخلط الفالوذج بدقيق الارز ودقيق العدس. وله ثلاثة ابواب في باعة السمك وقلّانيه. ويذكر انواعًا من السمك كالصير والبوري ما يدل على انّ المؤلف وضع كتابهُ في مصر. ويؤيد ذلك تقريرٌ للخليفة الفاطميّ الحاكم بامر الله اوردهُ في باب الجزّارين. ومن الابواب الظريفة «باب صيّادين السمك والعصافير» وباب الطحانين وهو التاسع عشر يقول فيه (ص ٤٣):

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة ويامرهُ ان يكون في كل طاحون ميزان خشب نظير موازين الجبس واوزانهِ وكلّابهِ كما شرطنا في موازين الجبس يوزن به القمح اذا ورد والدقيق اذا صدر ويُشدّ على اذن كل قفّة لوح صغير ويُكتب فيهِ اسم صاحبها ووزنهُ فاذا صحّ الوزن زالت التهمة وارتفع الشكّ. وتكون (44) الحجارة التي يوزن بها القمح مجلّدة مدورة مختومة بالرصاص مكتوبًا عليها بالحبر بخطّ المحتسب اوزانها. ويشترط على المتاجرين من الطحانين اعتدال موازين الحجارة لانها اذا رُقمت خفّت على الدواب وغرشت الدقيق واذا وُضعت سخنت واضرّت بالدواب وانما يكون الميزان معتدلًا حتى لا يقع الضرر ويصلح حال الدواب ويطيب الدقيق من غير حيف على الجهتين. ويُحلّفوا ان لا يخونوا احدًا في قمحهِ. ومنهم من اذا وُزن عليهِ زنبيل قمح افرغهُ في القادوس وبلّ اسفل الزنبيل بالماء واخذ بمقدار بللهِ من ذلك الدقيق يُفعّل هذا بقفاف كثيرة ويستحلّون ذلك فيحلّفوا ان لا يفعلوا ذلك ولا يأمروا من يفعل لهم ذلك. ثمّ يوصي بعد ذلك ارباب دوابّ العمل ان يتّقوا الله تعالى في ترفيهها في كلّ يوم وليلة بحاجتها الى الراحة والسكون. . . .

ويليه الباب العشرون في الفرّانين فيوصيهم باشياء كثيرة منها « ان يرفعوا بنيان مداخنهم بالبرابخ فتُعلى بحيث يخرج دخانها مرتفعاً عن دور جاوريهم » — ومن الابواب التي تستحقّ الذكر الباب الخامس والعشرون في الحمّامات وما يلحق بها افتتح الباب بذكر منافع الحمامات ومضارّها وان لم يكن ذلك من قبل الحسبة اوردهُ للانتفاع به ومعرفته قال (ص ٥٠) :

وجدتُ قال بعض الحكماء خير الحمّام ما قدم بناؤهُ وشمّ هواؤهُ وعذب ماؤهُ وقدّر الوقّاد وقُودهُ بقدر مزاج مَن اراد وروده . واعلم انّ الغسل الطبيعيّ الحمام المسّ لحرارته والترطيب بمائه . فاليبت الاوّل مجرّد والثاني مسخّن مرخٍ . والثالث مسخن مخلف . والحمام يشتمل على منافع ومضارّ فامّا منافعها فتوسع المسامّ وتستفرغ الفضلات وتحلل الرياح وتحسّن الطبع من السهولة وتنظف الوسخ والدرق وتُذهب الحكّة والجرب والإعياء وترطّب الدماغ وتجوّد الهضم وتنضج الترلات والزكام وتنفع من حمام (كذا) يوم ومن حمّى الدق واما مضارُّها عند طول القيام فيها فانها تسقط شهوة الطعام وتضعف الباه واعظم مضارّها صبّ الماء البارد على الاعضاء الضعيفة وقد يشتمل على الريح والخلاء فيحدث تخفيفاً شديداً ويجزل ويضعف وقد يُستعمل الحمّام على قرب عهد بالشبع فيسخن البدن الّا انه تحدث مددًا (51) واجود ما استُعمل الحمّام على الشبع بعد الهضم الاوّل فانهُ يرطب البدن ويسخنهُ ويحسن بشرتهُ

ثمّ ينتقل الكاتب الى ذكر ما يلزم ضامن الحمام وحرّاسها والبلّانين والمزينين والوقادين وباعة النورة وها نحن ننقل من اقواله بعضاً من عدّ :

وينبغي للمحتسب ان يامر ضامن الحمام بنظافتها وكنسها وغسلها بالماء الطاهر غير ماء الغسالة يفعلون ذلك كل يوم مرّتين ويدلكون البلاط بالاشياء الخشنة ممّا يتعلّق بها الدرد والخطمي والصابون فترلق عليها ارجل الناس . ويغسلون الخزانة من الاوساخ المجتمعة في مجاريها والكرّ الراكد في اسفلها كل شهر مرّة لأنها ان تُركت اكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة . . . . ويبخّر الحمام بالفحم واللُبان في كل يوم مرتين لاسيما اذا شرع في كنسها وغسلها (52) ومتى بردت الحمام فينبغي ان يبخرها بالجراوى فانهُ يحمي هواءها ويطيّب رائحتها وفي ايام الشتاء يزيد في بخورها الميعة اليابسة . . . . ويامر ضامن الحمّام ايضاً بان يجعل عنده مازر يكريها او يعيرها لمن يحتاز (كذا) فانّ الغرباء والفقراء قد يحتاجون الى ذلك فانّ كشف العورة حرام . . . . ويمنع من الدخول اليها الاجذم والابرص واصحاب العاهات الظاهرة ولا يدع الاكفة تغسل فيها الجلود فانّ الناس يتضرّرون برائحة الدباغ . . . . . (53) واذا اخذ الحارس اجرةً على حفظ ملابس الناس وعُدم شيءٌ منها لزمهُ غرمه . . . .

وفيه للمزينين والحجامين :

وسبيل المزّينين ان يصلحوا لحية كل احد على مقدار ما يليق بوجهه وان يكون حديدهم رطباً

قاطعاً وبأمرهم ان لا يحلقوا راس صبي دون البلوغ الّا باذن وليّهِ ولا يحلقوا ذقن مخنث ولا يزينوا لهُ صدغاً ولا تجره من المردان والاحداث ولا يمنعوا شرط (مشرط) الحجامة لئلا يقطعوا ما تحتها من الشريانات الرقاق . . . .

ويليها ابواب في الكتّانين والحريريين والقطّانين والقلانسيين والخياطين والسماسرة والبزّازين والغسّالين والقصّارين والمطرّزين والرفائين . ومن اجود ابواب هذا الكتاب ثلاثة ابواب حلوية من الصفحة ٦٣ الى ٨٠ في الصيادلة والعقاقير ثمّ في الاشربة والمعاجين ثم في العطر والعطارين نؤجل نشرها برمّتها لفرصة أُخرى ان شاء الله . ولا يخلو البابان التاليان في الصيارف والصاغة من فائدة . وفي اثرهما الباب الثالث والاربعون في الاطباء والفصادين يقول في اوّلهِ (ص ٨٣) :

ينبغي ان يكون المقدّم على الاطبّاء والمرجوع اليهِ منهم مَن كثرت حرمتهُ وتبالغت تجربتهُ ويحلف بما لا له منهُ كفارة ان يطالب سائر الاطبّاء بما شرطهُ يوحنا بن ماسويه المطب (المتطبب) في كتابهِ المعروف بمحنة الطبيب فمن وجدهُ قيّماً بجميع ما حوتهُ شروطهُ فصلّا فصلّا امرهُ في معيشتهِ واعلمهُ انهُ قد احسن وانهُ اذا لم يطالبهُ بما شرطهُ جالينوس في محنة الطبيب انهُ (كذا) لا يكاد ان يقوم بذلك كثير منهم ومن كان بعد ذلك صرفهُ عن هذه المعيشة ويُقفي للدروس فيلزم قراءة الكتب قبل اتصابهِ لمداواة الناس لما في ذلك من الضرر الواقع بالمريض فقد بلغني ان ملوك الاكاسرة جعلوا الاطبّاء الذين يختصّون بهم ويثقّفون نفيلتهم ولاة على سائر المتطببين وكانوا يمتحنون من يريد الجلوس للناس فمن وجدوهُ قيّماً بما التمسهُ طالبياً اياهُ ذلك وكتبوا لهُ رقعة الى المحتسب بجلوسهِ وان كان (84) بالبلد صرفوهُ . وينبغي ان يُقرأ عليهِ ما شرطهُ بقراط على نفسهِ وعلى سائر المتطببين ويحلفهم عليهِ وعلى انهم لا يعطوا (كذا) لاحد دواء قتّالا ولا يشيرون بهِ ولا يعطوا النسوان ما يسقط الاجنّة . . . وليغضّوا ابصارهم عن الخارم عند دخولهم الى المرضى ولا يفشون الاسرار ويمتكون الاستار ويكون عندهُ آلات الطبّ مكمّلة . . . ويتشاوروا اذا عرض مرضٌ يُشك فيهِ ويختلف عليه حتى يطابق على مداواته . . . .

ثمّ يتسع المؤلف في شروط الفصادة والحجامة لكثرة استعمالهما في ذلك العهد ويذكر بالتفصيل ما يتوخّى بهما . وقد الحق بهذا الباب ثلاثة ابواب اخرى في الكحل والكحّالين وفي المجبّرين للعظام المكسورة وفي الجرائحيّين . ثمّ يخصّ باباً بالبيطرة دونك منهُ بعض اسطر (ص ٩٥) :

اعلم ان البيطرة علم جليل سطّرتهُ الفلاسفة في كتبهم ووضعوا فيها كتباً على انها اصعب علاجاً من امراض الآدميين لأنّ الدواب ليس لها نطق تعبّر بهِ عمّا تجد من المرض والالم وانما يُستدلّ على علّتها بالجسّ والنظر فيفتقر البيطار الى جسّ وبصيرة بعلل الدواب وعلاجها فلا يتعاطى

البيطرة الّا من لهُ دين يصدُّهُ عن الدواب بقصد او قطع او كيّ او ما اشبه ذلك بغير خبرة فيؤدي الى هلاك البهيمة وعطبها. وينبغي للبيطار ان ينظر وسخ الدابة ويتبر حافرها قبل تقليمه . . . (96) . . . وينبغي ان يكون البيطار خبيرًا بعلل الدواب ومعرفة ما يحدث فيها من العيوب فانَّ الناس ترجع اليهِ اذا اختلفوا في الدابة وقد ذكر بعض الحكماء في كتاب البيطرة في علل الدواب ثلثمائة وعشرون (وعشرين) علّة . . .

وبعد هذا ابواب عديدة في صنائع لا يسعنا الّا ذكر اسمائها كصبّاغي الحرير والغزل والخرّازين والحنّاطين اي باعة الحنطة وفي صنعة الشرابات وفي باعة الأبزار وباعة الخشب والرفّائين والحدّادين والمسامير يين والنحاسين والتجارين والبنائين والنشارين والنخّاسين اي باعة العبيد وباعة الدواب والدلّالين والدهانين والزجّاجين والنخّاتين والدبّاغين. ومما استحسناهُ الباب الخمسون في الاساكفة وصناع الأخفاف قال (ص ٩٨) :

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة عارفًا ويامرهُ ان يتعهم من عمل العتيق ويطرّوه (ويطرّونهُ) ويبيعونهُ جديدًا وان لا يكثرون (يكثروا) حشو الخرق بين البشتيك والبطانة ولا بين النعل والظهارة وان يشدّوا حشو الاعقاب ولا يشدّون (يشدّوا) نعلًا قد احرقتهُ الدباغة (الدباغة) ولا فطيرًا لم ينضج ولا اديمًا فاسدًا ولا مسوّسًا ولا معيوبًا وان لا يحكموا ابرام الخيط ولا يطولونهُ (يطوّلوهُ) اكثر (99) من ذراع الّا انهُ (لأنهُ) اذا طال انسلخ وانتقض ابرامهُ وضعُف من الجذب ولا يخرزون (يخرزوا) بشعر الحمير ويجعلون عوضهُ ليفًا او شارب النعل فانهُ يقوم مقامهُ ولا يُطلون (يطلوا) احدًا بتاغهِ الّا ان يشترطوا عليهِ ايّاهُ معلومة فانَّ الناس يتضرّرون من التردّد اليهم وان لا يعملوا الوزق (كذا) في الاحفاف كي يصير (لئلّا يصرّ) عند المشي كما كانت تفعلهُ نساء بغداد فيمنع المحتسب بن عمله

وقال في الباب الرابع والسبعين في معلمين الصبيان ومعلّمات البنات ما ننقل اسطرًا منهُ (ص ١١٩) :

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفًا ثقة لهُ دين يمنعهم من التعلم في المساجد . . . لانهم يسوّدون خطاطا ويحسّنون ارضها . . . بل يتخذون للتعليم حوانيت في اطراف الاسواق او على الشوارع ولا يعلّموا في بيوتهم ولا في دهاليزهم. واوّل ما ينبغي للمؤدب ان يعلّم الصبي السُّوَر القصار من القرآن بعد حذقهِ (حذقهِ) بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ويدرّجهُ بذلك ثمّ يعرّفهُ عقائد السُّنن ثمّ اصول الحساب وما يُستحسَن من المراسلات والاشعار دون سخيفها ومُستردلها وفي الرواح (الزواج) . يأمرهم بتجويد الخط ويكلّفهم عرض ما املاه عليهم حفظًا غائبًا ومن كان عمرهُ سبع سنين امرهُ بالصلاة في الجماعة فانَّ النبي صلعم قال : علموا اولادكم الصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر. ويأمرهم ببر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة (120) والسلام عليهما وتقبيل ايديهما عند الدخول عليهما ويضربهم على اساءة الادب والفحش من الكلام وغير ذلك من الافعال الخارجة عن قانون الشريعة مثل اللعب بالكعاب والبيض ونردشير

(يريد لعب النرد من لعاب القمار) وجميع انواع القمار (القمار) ولا يضرب صغيراً بعصاً غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تؤلم (نظن الصواب: لا تؤلم) الجسم بل يكون وسطاً ويتخذ محلباً (كذا) عريض السير ويتعمد بضربه على اللوايا (كذا) والاقحاذ واسافل الرجلين لأنّ هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا علّة ولا غائلة. ولا ينبغي للمؤدب ان يستخدم احداً من الصبيان في حوائجه واشغاله. . . ومتى جعل عليهم عريفاً جعلهُ ممن يؤنس رشدُهُ وعفافهُ ويتهمهُ من ضرجهم والحيف عليهم ويراعا (ويُراعي) طعامهم وقت جوعهم. ولا يعلم الخطّ لامرأة ولا لجارية لأنّ ذلك مما يزيد المرأة شرّاً (١ وقد (121) قيل انّ المرأة التي تتعلم الخط كمثل الحية تُسقى سماً. وينبغي ان تُمنَع الصبيان من حفظ اشعار ابن حجّاج والنظر فيهِ ويضرجهم على ذلك. وكذلك ديوان صريع الدلاء فانهُ لا خير فيهِ. ومعلمات البنات يمنعوا البناتِ البالغاتِ الفواحشَ ومن القصائد والاشعار والكلام الذي لا خير فيهِ ويمنعوا من زينتهم وضرجتهم يوم عيدهم (زينتهنّ وضرجتهنّ يوم عيدهنّ) في البطالة. وكذلك الصبيان يوم الجمعة ليخرجوا الى صلاتها والبنات يوم الاحد

وهذا البـاب الثامن في حافري القبور نثبتهُ هنا برمّتهِ للحوظاتهِ الدقيقة (ص ١٢٤):

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً ثقة يتهمهم ان لا (هذا الحرف زائد) يتعدوا على تربة يحفروها بغير امر مالكها او يستفتوا عية (غية) صاحبها فيحفروا فيها لغيرهِ. وعلى كل وجهـ وسبب ان تكون التربة لامرأة غائبة في مترلها لا تدري بم فيتعدّوا (فيتعدون) عليها فيحفروا (فيحفرون) فيها (125). ويؤمروا ان تكون القبور عميقة قدر قامة وبسطة لئلا تنبش الكلابُ الناس ولئلّا تطلع رائحتهم ويؤمروا بان لا يجيئوا على الناس في الاجرة وان لا يطالبوا للضعفاء بذلك بما لا يقدرون عليهِ. وكلّما ظهر لهم وقت حفرهم عظم من عظام الناس ستروهُ بالتراب ولا يتركونهُ ظاهراً بين ايدي الناس. ويُعمَل للقبر لحداً (لحدٌ) الّا ان تكون الارض رخوة محفورة فيُشَقّ ويُدفَن في شقّها ويُسَلّ الميت من قبل رأسهِ الى القبر ويسجّى بثوب عند ادخالهِ القبر ويقول عند ادخالهِ «بسم الله وعلى ملّة رسول الله صلعم» ويضجعهُ على الجانب الايمن ويوضع تحت راسهِ لبنة ويفضي بخدهِ الى الارض وينصب عليهِ اللبن ويُحثى عليهِ التراب ويُرفع القبر من الارض قيد شبر ويُرَشّ عليهِ الماء وتسطيحهُ افضل

فمن هذه الامثلة يمكن القرّاء ان يعرفوا مضامين هذا الكتاب وفوائدهُ المتعدّدة وهو يستحقّ الطبع لما يتضمّنهُ من تعريف احوال الأمة في زمان كاتبهِ. ونختم هـذه المقالة بذكر ابواب اخرى ادرجها المؤلف في مصنّفهِ هذا وهي الابواب الحادي والتسعون وما يليه وصف فيها موازين عهده ومكاييلهُ ومثاقيلهُ الذهبيّة والفضيّة وارطالهُ وقناطيره وها انّنا ننقل شيئاً من هذا الباب الاخير (ف ١٣٦) لفوائدهِ التاريخيّة مع ما فيـهِ من الاشارة لأعمال المؤلف وقت حسبته:

١) في هذا القول مبالغة ظاهرة تنافي التمدّن العصري

قد اصطلح اهل كل بلد واقليم على ارطال تتفاضل في الزيادة والنقصان. والقنطار المتعارف مئة رطل والرطل ١٤٤ درهماً وهو ١٢ اوقية كل اوقية ١٢ درهماً هذا رطل مصر الذي رسم ١٠. واما رطل دمشق ٦٠٠ درهم واوقيتها ٥٠ درهماً ورطل حمص ٧٩٢ درهماً واوقيتها ٦٧ درهماً وحبة وثلثا حبة (137). ورطل حماة ٦٦٠ درهماً واوقيتها ٥٥ درهماً. ورطل سرة مثل حمص. ورطل شيرز (شيزر) ٦٨٤ درهماً واوقيتها ٥٧ درهماً. والرطل البغدادي ١٣٠ درهماً واوقيتهُ ١١ درهماً الا دانقاً والمن ٣٦٠ درهماً وهو منسوب اليه وقد وجدنا جميع العطارين والصيادلة (والصيادلة) يزنوا (يزنون) بالعشرة دراهم عوضاً عن الاوقية وهذا بخس وخيانة فأرطال الاوقية عشرة دراهم ونصف وثلث وجملتها مخالفة لصنجة العشرة دراهم وجملتها مثقالا عند المعيّر يعيّرون بها ويعملون نظيرها في ايام حسبنا. واما الرطل الليبي (الليبي) ٢٠٠ درهم واوقيتهُ ١٦ درهماً ونصف وثمن وحبة وثلثي (وثلثا) حبة. واما الرطل الجروي ٣٠٠ درهم واوقيتهُ ٢٥ درهماً. واما القناطير فينبغي ان تُضبَط فيها ما يكون قد نُقش وجوهها بالعربية ليقرأها كل احد وربما ما يكون الوجه الواحد عربياً والاخر قبطياً فينقش على قبّ القبابين تمت لسنها بالعربية وينقش على الرمانة وزنها ليكون (138) اصحّ وأبين لأن كلّ رمانة تنقص عن حقها رطلاً فيدخل على المشتري بها نقص عشرة ارطال فينبغي للمحتسب ان يحتاط على هذا اتمّ حوطة وينبغي ان يتفقّد القبابين في كل وقت النهار لانها ربما (تنب ؟) الى النقص لاسيما اذا حيّاها الوزّان ليخرج الوزنة عنها من غير حمّالين يرفدوا (يرفدون) الثقل عنها فانها تنب (تذب) للوقت والقبّان الرومي اصحّ من القبطي. وينبغي ان يكون المحتسب يمتحنهم بعد كل حين ويجبرهم (ويجبرهم) فانها ربما تعوج من ثقل الاثقال فتفسد كما ذكرنا اولاً

الزواج المسيحيّ

نظر تاريخي ولاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

٣ الكنيسة والزواج

ثبت للقارئ في مقالتنا الاولى انّ السيد المسيح والرسول بولس اتّفقا في تعليمهما عن البتولية والزواج فأعلنا تفضيلهما للتبتّل الاختياريّ حبًّا بهِ تعالى وزهدًا بلذّات الدنيا وتقرّبًا من حالة الابرار في دار الخلود حيث «لا يزوّجون ولا يتزوّجون ولكن يكونون كملائكة الله في السماوات» (متى ٢٢: ٣٠) الّا انّهما لم يرذلا قطّ العيشة الزوجيّة بل على خلاف ذلك اعلنا بكرامتها ووضعا لها شروطاً تزيد عُروتها وثاقةً كما كانت في البدء وبيّنا قداستها لارتقائها الى رتبة الاسرار المسيحيّة

بقي علينا ان نبرّئ الكنيسة من التهمة التي رماها بها الكاتب المصريّ حيث

قال «بان النصرانيَّة في عصورها الاولى اوضحت حطَّهـا من قدر الزواج» فنبين ان الكنيسة كمنشئها الالهي وكرسول الامم بولس وفت البتوليَّة والزواج حقهما من الاعتبار الجدير بهما في كل الاجيال مباشرةً من عصور النصرانيَّة الاولى

اما انَّ الكنيسة اعتبرت البتوليَّة ورفعت قدرها واطنبت في مديح المتبتلين لاجل ملكوت السماوات فغنيٌّ عن البيان. ولا حرج في ذلك على الكنيسة اذ انها سمعت من عريسها الالهيّ أن من يترك في سبيل الله أبًا او امًّا او «امرأةً» او بنين او املاكًا ينال منة ضعف ويفوز بالحياة الابديَّة (متى ١٩: ٢٩) كما انَّها تعلمت من يوحنَّا الحبيب (رؤيا ١٤: ٤): «انَّ الابكار الذين لم يتنجسوا مع النساء يتبعون الحمل حيثما يذهب ويتقدَّمون في السماء على الابرار ويسبحون الله بتسبحة لا يعرفها غيرهم»

فلما عرفت الكنيسة ما في البتوليَّة من الخيرات العميمة لسعادة الدارين رفعت ألوية العفة في العالم ودعت اليها النفوس الشريفة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيَّة وكان العالم الرومانيّ وقتئذٍ متسكعًا في ظلمات الوثنيَّة غائصًا في بحر الفساد واقبح الاثام الفظيعة جاريًا في ارجاس اصنامه وآلهته الذين نسب اليهم العهارة والفجور فاتخذهم لهُ قدوةً. فلبَّى دعوة الكنيسة الوف من العذارى والمتبتلين وأدهشوا بطهرهم تلك الاجيال وعطَّروها بارج عفافهم الذي يضوع شذا عرفهِ حتى يومنا. فناهيك باسماء بتولات كاغنس وسيسيلية وكاترينا وبربارا اللواتي ذهبن شهيدات العفَّة كما استشهدن في سبيل ايمانهنَّ وضفرن لهنَّ اكليلًا من ورد الحبّ الالهيّ وزنبق الطهارة انالهنَّ فخرًا مؤبَّدًا امام العرش مدى الدهور

وكما جذبت الكنيسة قلوب ابنائها الى التبتُّل الاختياريّ أحبَّت ان لا يصعد الى جبل الربّ الّا كل عفيف النفس ومن يقيد نفسهُ بالتبتُّل فرضت على كهنوتها الامساك عن الزواج ليخدموا في هيكل الربّ بالقدس والعفة التامَّة. وقد افرزنا لهذا البحث مقالةً مستقلَّة في السنة المنصرمة (المشرق ٩: ٨٠٠ — ٨١١) نحيل اليها القرَّاء فلا حاجة الى التكرار

وخلاصة القول انَّ الكنيسة في كل آن عظَّمت البتوليَّة كما انَّ كتبَها في كل جيل وضعوا في ذلك المصنفات الجليلة تنويهًا بمحامد البتولية نخصُّ منهم بالذكر القديسين والمعلمين يوستينوس وقبريانوس وترتليان واقليمس الاسكندري ويوحنا فم الذهب

وامبروسيوس واوغسطينوس وغيرهم كثيرين يطنبون في شرف البتولية ويحثون الذين آثروا البرارة والعفة ليعيشوا مع الرب القائل « طوبى لانقياء القلوب لانهم يعاينون الله » (متى ٥ : ٨)

*

فنقرّ اذن جهاراً بانّ الكنيسة أجلّت البتولية وقدّمت المتبتلين في اعتبارها على المقيدين بروابط الزواج . ولكن كيف يسوغ القول للمناظر « انّ النصرانية حطّت قدر الزواج وحسبت توليد البنين جناية وشراً » . أيا تُرى لو فضّلتُ فنّ الكتابة على فنّ التجارة افيجوز القول عني اني بخستُ حقوق التجارة وحسبتُ الارتزاق بالتجارة جناية وشراً . وهذا البرهان مع بساطته كافٍ لردّ حجّة الخصم وابطال شكواه على كنيسة المسيح

الّا اننا لا نرضى بهذا الجواب وحده وها نحن نقدّم للقرّاء بعض البينات التي توضح لكل ذي عين اعتبار الكنيسة للزواج ومدافعتها عن سمو شرفه

١ واوّل دليل على صحّة قولنا انّ الكنيسة من حيث انها وارثة تعاليم السيد المسيح ورسله الكرام ما كانت لتجهل آيات اسفار العهد الجديد في هذا الصدد سواء كانت اقوال السيد المسيح راسها ومعلمها الاوّل وقد اثبتنا في ما مرّ انهُ عزّ وجل رفع شأن الزواج فضلاً عن كونهِ لم يهضم شيئاً من حقوقهِ او كانت تعاليم بولس الرسول الذي اقتفى معالم سيده كما بيّنا . وزد على ذلك اقوالاً اخرى صريحة وردت في اسفار العهد الجديد لا يُمكن شرحها الّا على فرض كرامة الزواج وشرفه كاقوالٍ عديدة في الرسائل تشير الى تربية البنين الصالحة والى ممارسة الفضائل الاهلية . كالتوادّ والمحبة والصبر وطول الاناة واكرام الوالدين . ولو اثبتنا كل هذه الايات لملأت عدّة صفحات . فمن ذلك قول بطرس الرسول في رسالته الاولى (٣ : ١ — ٨) حيث اتّسع في المعاملة المتبادلة بين النساء ورجالهنّ فاوصى النساء ان يخضعنَ لرجالهنّ ليربحنهم بحسن تصرّفهنّ بالمهابة والعفاف على مثال سارة امرأة ابراهيم . ويوصي الرجال « ان يساكنوا نساءهم على مقتضى العقل لكون الاناء النسويّ هو اضعف ويكرموهنّ كالوارثات معهم نعمة الحياة » . وكقول بولس في رسالتهِ الى تلميذهِ تيطس يفيض في وصف العائلة وخواصّ افرادها (٢ : ١ — ٦) فيفرض على الرجال المحبة والصبر وعلى النساء « ان يكنّ محبات لرجالهنّ

وابنائهنّ . عاقلات عفيفات معتنيات بمصالح بيوتهنّ مصالحات خاضعات لرجالهنّ لئلا يُجدَّف على كلمة الله ». ويوصي الفتية بالتعقل والبرّ

وللقديس بولس وصايا اوسع واوضح في هذه المعيشة الاهليّة في رسالته الى تيموتاوس فان معظم آياتها في الفضائل البيتيّة وسيرة كل فرد من افراد العائلة فهناك (٣:٤) يكبت « المرائين الناطقين بالكذب المانعين عن الزواج » ولهُ في هذه الرسالة اقوال مجيدة في فضائل النساء وسلوكهنّ مع ازواجهنّ فيوصيهنّ « ان يتزيّنّ بزينة لائقة على مقتضى الحشمة والتعقُّل » وان « يتعاهدنّ العبادة بالاعمال الصالحة » وان « لا تتسلط المرأة على رجلها » ويُعلمها « انّها ستخلص بولادة الاولاد ان استمرّت على الايمان والمحبة والقداسة ». وان كانت النساء ارامل فتيات وتعرّضنّ لاخطار الخطيئة ليس فقط لا يمنعهنّ عن الزواج بل يحتمهُ عليهنّ بقوله (٥ : ١٤) : إذَن احبُّ انَّ الفتيّات يتزوجن ويلدن البنين ويدبّرن البيوت ولا يعطين المقاوم سبباً للطعن » فكلُّ هذه الاقوال وغيرها مثلها كانت تعلم بها الكنيسة حتّ العلم فجرت على مقتضاها دون خلاف

٢ وقد اعانت الكنيسة عن فكرها ورضاها بالزواج القانونيّ بما وضعتهُ منذ اول النصرانية من الطقوس والرتب والصلوات في عقد سرّ الزواج. وقد حتمت على كهنتها بحضورهِ ليقدسوهُ ويباركوهُ ويستمطروا على الزوجين كل النعم السماويّة. وبعض هذه الصلوات ترتقي الى القرن الثالث والرابع للميلاد . فيا ليت شعري لو كانت الكنيسة تعدّ الزواج كاثم وتعتبر توليد البنين كجناية كيف امكنها ان تعهد الى كهنتها بحضور المحظورات وتنشيطها بصلواتهم وطقوسهم

٣ ولنا على هذا الامر دليل آخر عياني بما وجد من الآثار في ديامس رومية وفي حفريّات المدن النصرانيّة القديمة في فرنسة وايطالية وافريقية فمن ذلك تصاوير عديدة وخواتم منقوشة تمثل رتبة الزواج فمنها ما يُرى فيها الزوجان متصافحين فوقهما اسم السيّد المسيح (وتارةً ترى عند راسيهما كتابةً تدلُّ على تهنئة العروسين مع الدعاء لهما « احيا » او « احيا بالله » او « احيا بالمسيح » او « فليكن زواجكما مباركاً سعيداً »

وقد وُجدت آثار أخرى كنقوش وكتابات مرقومة على نواويس وصفائح ضريحيّة تشير الى وجود جسدي الزوجين في قبر واحد بعد عيشتهما بالحبّ والاتفاق مدّة سنين يُذكر

تاريخها . مثال ذلك ناووس قديم صُوِّرت عليه سمكتان بلغتا الى مرساة وفي ذلك تنويه بموت الزوجين وبارتهما المأمن في مرسى الابدية . وبعض هذه التصاوير ترى فيها لفيف العائلة من اب وامّ وابنا . . وفي غيرها صورة الزوجين يتلاثمان كانهما يريدان الدلالة على حبهما الدائم حتى بعد الوفاة . وكثيرًا ما يجعل في يد المرأة درْجٌ وهو صك الاقتران الذي جرى على موجبه الزوجان . وقد يتكرَّر على هذه النواويس ذكر البعث والنشور في اليوم الاخير اما تصريحًا واما تلويحًا على صورة رموز واشارات . هذا وتضرب صفحًا عن كتابات أُخرى تذكر فضائل الزوجين كاماتهما وطهارة ذيلهما وصفاء عيشهما دون فتور ولا انزعاج الى غير ذلك من الاوصاف التي توصي بها الكنيسة اولادها المقيدين بسنة الزواج

٤ ولنا شاهد آخر على اكرام الكنيسة للزواج القانوني في ما كتبهُ آباء البيعة في هذا السر . فانهم قد صرّحوا بذلك مرارًا عديدة في تآليفهم اما عند شروحهم على آيات العهد الجديد التي سبق لنا ذكرها واما عند سنوح الفرصة ردًّا على تعييرات المبتدعين . فمنهم اقليمس الاسكندري في القرن الثاني فانهُ قال (في الكتاب الثالث من متفرقاته) ليس فقط الزواج بين المسيحيين جائز ومبرور لكنهُ ايضًا سرٌّ مقدَّس غايتهُ تقديس الزوجين وتأهيلهما لتربية الاولاد الذين يولدون منهما . وقال في محل آخر « انَّ في الزواج هو الله القدُّوس الذي يجمع بين الرجل والمرأة » . وقال المعلم ترتليان في اوائل القرن الثالث في كتابهِ الذي وجههُ الى زوجتهِ (ad Uxorem) يمدح الزواج المسيحيّ : « كيف يمكنني ان اثني على الزواج الذي تُعدُّهُ الكنيسة وتثبتهُ التقدمة وتختمهُ البركة الذي عليهِ يشهد الملائكة ويقرّرهُ الآب السماويّ »

وكان القديس اغناطيوس اسقف انطاكية تلميذ الرسل سبق وقال في رسالتهِ الى پوليكرپوس (٥٤) : « انهُ يليق بمن يطلبون الزواج ان يعقدوا زواجهم برضى الاسقف ليكون اقترانهم على مقتضى مشيئة الرب ولا يُدفعوا اليهِ بدافع الاهواء . وليتمّ كلّ شيء لمجدهِ تعالى »

وقال القديس اوغسطينوس في كتابهِ عن العيشة الزوجيَّة وخيرها ان الزواج يطبع في قلب الزوجَيْن سمةً لا يُمحى اثرُها على الاطلاق حتى بسقوطهما في اقبح الآثام

كجحود الايمان المسيحيّ وانّ الزواج يشبه في فعله سرّي المعمودية والكهنوت اللذين يبقى فعلهما الى آخر حياة الزوجين

فكلّ هذه الشواهد وغيرها كثيرة لا يسعنا ايرادها تبين علانيةً ايّ مقام اصابهُ في الكنيسة سرّ الزواج وكيف كانت تعتبرهُ كاقدس العقود وتصونهُ من كل آفة تلحق بكرامتهِ

٥ وقد صرّحت الكنيسة عن خلوص نيّتها وتعظيمها لسرّ الزواج بطريقة اخرى نزيد المجامع المقدّسة حيث يلتئم كلّ اساقفة الكنائس المتفرّقة في المعمور تحت رئاسة عظيم الاحبار اسقف رومية فيبحثون عن عقائد الايمان وعن امور الآداب فيثبتون منها ما يجدون إثباتهُ وينفون ما يرون نفيهُ ثمّ يسنّون في ذلك القوانين التي يجب تنفيذها. ومن هذه المجامع ما هو محلي لكنهُ نال بمصادقة الحبر الروماني قوّة المجامع المسكونيّة. والحال انّ الكلام في هذه المجتمعات الجليلة قد دار مرارًا كثيرة في الزواج وشروطهِ وخواصهِ وسُنّت في ذلك قوانين متعدّدة تكاد تملأ مجلدات ثم يُضاف الى ذلك براءات الاحبار الرومانيين وأجوبة اللجنات الرومانيّة المختصّة بفحص امور الزواج. وقد اعملنا النظر في كلّ هذه القرارات ودرسنا مضامينها فلم نجد كلمةً واحدة تُشعر بما تنسبهُ الى الكنيسة الكاتب المصريّ من مجس شان الزواج وحطّ قدرهِ بل كلها تجلّهُ وتعتبرهُ اعتبارها للاسرار المقدّسة والعهود الخطيرة وتوصي بصيانة شرفها والذبّ عن كرامتها

٦ وما اكتفت الكنيسة المقدّسة بتعزيز الزواج القانونيّ واخذ الاحتياطات اللازمة لدفع كل ما يصيبهُ من الاضرار بل تصدّت في كلّ وقت للمبتدعين الذين حاولوا نكث حبلهِ ونقض اركانهِ. وقد قام في اوائل النصرانيّة كثيرون من المراطقة فزعموا انّ الزواج محظور مستهجن كسطورنينوس وبسيليدس ومرقيون وغيرهم الذين قالوا انّ التزويج من فعل الشيطان والى هؤلاء المانعين من الزواج اشار الرسول بولس في ما سبق لنا ذكرهُ. والحقّ يقال انّ الكنيسة اسرعت الى تزييف هذه المزاعم الباطلة وحرم القائلين بها ولدينا تآليف مختلفة للآباء والمعلمين الاقدمين كترتليان واقليمس الاسكندري يفندون فيها اقوال المبتدعين ويناضلون عن معزّة الزواج الذي انشأهُ الله منذ البدء لحفظ الجنس البشري ورقّاهُ المسيح الى رتبة السرّ. ولما جدّد بريسيليان

المبتدع الاسباني في القرن الخامس فجدَّد بدعة مرقيون في الزواج فشذب قولهُ البابا القديس لاون الكبير ثمَّ التأم سنة ٤٤٧ مجمع اساقفة في طليطلة فرذل اقاويل پريسيليان ومن جملتها قولهُ في الزواج في هذه القضيَّة السادسة عشرة: « ان قال احد او اعتقد بانَّ الاقترانات الزواجيَّة التي يجوز عقدها على مقتضى الشرع الالهي هي شيء ممقوت فليكن محروماً »

٧ وليست الكنائس الشرقيَّة في هذا الامر مخالفةً للكنيسة الرومانيَّة فانَّ آثارها ورتبها وصلواتها منذ القدم تتَّفق من كلّ وجه مع تعاليم الرسل والآباء . وفي كلّ هذه الطقوس اقوال اثيرة تنطق باعتقاد اصحابها في عظمة الزواج المسيحيّ مثالهُ قول الكنيسة الارمنيَّة في بركتها للزوجين: «باركْ يا ربّ وقدِّس اقتران عبديك هاذين . . . لأنك لم تنهَ عن الزواج بل قدستهُ وباركتهُ بكينونتك واثبتهُ بقولك الصادق (في متى ١٩ : ٦) ما جمعهُ الله لا يفصلهُ الانسان » . ومن هذا القبيل خطب قديمة كانوا يقولونها قبل اقامة رتبة الزواج تجد منها عدداً وافراً في مجموع خطب ايليَّا الثالث بطريرك النساطرة المعروف بابي الحليم (راجع طبعة الموصل ٢٤٨ — ٢٦٧) فمما جاء هناك قولهُ وهو يبيّن تعظيم نصارى الشرق لسرّ الزواج :

ايها المؤمنون انَّ التزويج من النعم العظام . يمتاز بهِ الناطقون عن طبقات البهائم . أحلَّه الله للانسان واطلقهُ . وانزله في اوضاع الشرائع وحقَّقهُ . وحتم بفضلهِ على من يؤثر النسل حتماً . ونظم بهِ القلوب المتنافرة في سلك الولاء نظماً . . . أم بذكره موسى النبي في السنَّة القصاصيَّة . ونبَّه عن فخره مخلص البرايا في الشريعة الاخصاصيَّة . قال الله تعالى في سفر الخليقة : ليس يحسن ان تترك آدم على شريطة الوحدة . بل نخلق لهُ معينةً تضمدهُ في الرخاء والشدَّة . وقال الخاص في كتاب الحياة وديوان الحقيقة . انَّ الاجل بالرجل ترك آلهِ وامرتهِ ليكون بالالفة والمحبة مع زوجتهِ . . . . وليس بعد هذه الوصلة حلّ لعقدها . ولا نكث لعهدها . ولا طلاق يحدم بناءها . ولا فراق تقطع بديتهُ اطنابها وعراها . . . .

فكل هذه البراهين لا تُبقي ريباً في ما حاولنا اثباتهُ وتُظهر لكلّ ذي عين خطأ الكاتب المصريّ عند قولهِ « انَّ النصرانيَّة حطَّت في العصور الاولى من قدر الزواج وانها اعدَّت هذا الارتباط من الاحوال المنحطة وحسبت البنين جنايةً وشرًّا . . . وان عقود الزواج في اكثر الكنائس لا تزال مصوغة بهذه الصيغة الخالية الى يومنا هذا » . فتلك التهمة والحقيقة على طرفيّ نقيض

هذا واننا في قولنا السابق لم نتجاوز حقوق الدفاع لردّ تهمة المتّهمين لكنّ الانصاف يستدعي ما هو فوق ذلك لنبيّن ان النصرانيّة بلّغت العيشة الزوجيّة الى ارقى مقام بالمناضلة عن وحدة الزواج وعن ثبات عهده دون السماح بالطلاق

فانّ وحدة الزواج اي عدم تعدُّد الزوجات امر به المسيح بقوله (متى ١٩: ٥): « فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا فليسا هما اثنين بعد ولكنهما جسدٌ واحد » وجرت عليه الكنيسة في كل اطوار تاريخها واعلنت به كلّ آباء البيعة ومن ثمّ كذب الكاتب المصريّ في قوله:

من المحقّقات التاريخيّة التي لا تقبل الشكّ ان تعدُّد الزوجات لم يُستنكر الّا في الاعصر المتاخرة. والظاهر ان القديس اغسطينس نفسهُ لم ير فيه سقوطًا في الآداب او اثمًا وحرجًا بل صرّح انّ تعدُّد الزوجات لا يُعدّ جريمة لأن قوانين البلاد تبيحهُ

فهذا القول ينافي الحقيقة من كل وجه فانّ معلّمي الكنيسة لم يقولوا به قط ولم يذهب اليه اغسطينس في احد كتاباته وانّما خلط الكاتب بين اقواله عن العهد القديم وعن العهد الجديد فتعدّد الزوجات كان مسموحًا به في الطور الاوّل دون الثاني. ولو شئنا لأتينا بشواهد لا تُحصى لبيان ذلك. قال اثيناغوراس الفيلسوف في دفاعه عن النصارى (٣٤): « انّ عادتنا نحن النصارى اما ان نعيش متبتلين كما ولدنا واما ان نكتفي بزوجة واحدة ». ولا خفاء في ما تحتويه من الخيرات وحدة الزواج فلولاها لا يكون الحبّ صافيًا بين الزوجين ولا تتم سنّة العدل بينهما اذ يكون قلب الرجل منقسمًا بين ازواجه يعاملهنّ في الغالب معاملة الإماء. ولا يمكن المرأة ان تخلص الحبّ لزوجها اذ ترى لها في قلبه شريكًا كما ورد في مثال سارة وهاجر. اما تربية الاولاد فتبقى اعباؤها على عاتق الامّ خصوصًا وربما اهمل الاب بنيه لانهماكه في اللذّات. ويؤيد ذلك ما قرأناهُ آخرًا في مجلة هنديّة عن بعض امراء الهند الوثنيين انهُ في ايّام حداثته رآهُ ابوهُ يومًا فسألهُ: من هي امهُ. فتأثر الشاب من هذا السؤال وحلف انهُ لا يتزوّج بغير واحدة ما دام حيًا

وكما جاهدت الكنيسة في حفظ وحدة الزواج ولم تسمح بتعدّد الزوجات كذلك لم تتساهل قطّ باجازة الطلاق التام لئلا تنفصل من جمع الله بينهما (راجع مقالة حضرة الاب صالحاني في الطلاق عن المسيحيين). ولمّا قام بعض الملوك المسيحيين وطلبوا من

الكنيسة ان توسع لهم هذا الباب اجابتهم بكلمة الرسل امام مجمع اليهود « لسنا نستطيع » . وكثيراً ما تحمّلت الكنيسة اضطهادات الكبار والمتسلطين بل اهرقت دماء شهدائها دون ان تنقض حرفاً من تعاليم المسيح . وكفى بمثال الكلدرّة وملكها هنريكس الثامن الذين فضّلت الكنيسة انفصالها عن الكثلكة من الترخيص بالطلاق

فهذا ما جعل الزواج المسيحيّ نظاماً مهيباً . هذا ما رفع برتبة المرأة واجلّها بين بنيها في مقام اثير كربّة البيت وسيدة جليلة . هذا ما اثبت الحبّ في العيال وربط قلبي الزوجين برباط اقوى من الموت . قال ترتليان يصف العيشة الزوجيّة (لك٢ ع٦) : « لله ما أخفّ نير الحياة اذا كان على كاهل اثنين يجمع بينهما رجاء واحد وخدمة واحدة . فهما اخوان وهما عديلان ليس بينهما انفصال لا في الجسد ولا في الروح فهما حقيقة اثنان في جسد واحد واذا كان الجسد واحداً كان الروح ايضاً واحداً . فالزوجان يصليان معاً ويتريحان معاً ويصومان سواء يعلّم احدهما الاخر وينشطهُ ويسندهُ . اذا ذهبا الى الكنيسة توافقا وجلسا على مائدة الخلاص معاً لا ينفصل الواحد عن الآخر في البلايا والضيقات كما في الافراح والمسرّات . لا يخفي الواحد عن اخيهِ امراً ولا يخالفهُ في شيء ولا يتثاقل عليهِ . . . حقيقةً انّ المسيح بينهما لانهُ وعد انهُ يكون حيثما اجتمع اثنان باسمه وان كان المسيح بينهما فلم يبقَ للشرير مكان في شركتهما »

وليس هذا الوصف امراً خيالياً نادراً فلله الشكر اننا نرى كل يوم أسراً مسيحيّة تمثل بصلاحها وفضائلها السعادة على الارض قبل فوزها بالسعادة الدائمة . وبينما نحن نكتب هذه الاسطر عُقدت في بيروت بعض جيرتنا حفلةٌ مؤثرة اجتمع فيها احد عشر من الاخوة والاخوات في اعمار مختلفة ليهنّئوا والديهم بعرسهم الفضي وقد قضيا ربع جيل في السعد والهناء لم يكدر صفاء عيشهما رنقٌ . ولسان حال كل المدعوّين الى هذه المظاهرة يردّد كلمة واحدة : « هذه ثمرة الزواج المسيحيّ »

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقوس جرجس شلحت السرياني الحلبي (تتمّة)

الشر

يُبادِرُ ٱلْعارِي ٱلتُّقى لِلبيعَهْ فَيُجزِلُ ٱللهُ لَهُ ٱلصَّنيعَهْ

فَيَلْبَسُ ٱلتَّقْوَى شِعَارًا عِنْدَمَا ... يُصْغِي إِلَى ٱلصَّلْوَةِ نَظْمُ ٱلْحُكَمَا
مِنْ مِثْلِ أَفْرَامَ ٱلْمُجِيدِ ٱلْقَوْلِ ... وَكَمْ حَبَا فِي شِعْرِهِ مِنْ طَوْلِ
حَاكَى بِهِ هَدْرَ حَمَامِ ٱلزَّاجِلِ ... وَسَجْعَ وُرْقٍ وَغِنَا عَنَادِلِ
هٰذَا هُوَ ٱلصِّدْقُ إِذَا تَرَنَّمَا ... هٰذَا هُوَ ٱلْكَمَالُ إِنْ تَنَغَّمَا
هٰذَا هُوَ ٱلْحَقُّ إِذَا تَكَلَّمَا ... هٰذَا هُوَ ٱلْجَمَالُ إِنْ تَجَسَّمَا
لِأَنَّهُ كَلَامُ بَارِي ٱلْخَلْقِ ... أَنْزَلَهُ عَلَى ٱلْوَرَى لِلْحَقِّ
فَٱلْكَوْنُ شِعْرٌ فَائِقُ ٱلْبَدَاعَهْ ... سَامِي ٱلنِّظَامِ بَاهِرُ ٱلصَّنَاعَهْ
وَٱلْمَرْءُ فِي فَرِيضِهِ يُمَثِّلُ ... مَشَاهِدَ ٱلْكَوْنِ وَمَا يُخَيِّلُ
مُجَرِّدًا بِفِكْرِهِ ٱلْأَشْبَاحَا ... مُجَسِّمًا بِلَفْظِهِ ٱلْأَرْوَاحَا
مُنْسَقًا بِأَبْدَعِ ٱلنِّظَامِ ... مُحَاوِلًا لِغَايَةِ ٱلتَّمَامِ
مُدَوِّمًا حَوْلَ ذُرَى ٱلْمَجَازِ ... مُحَلِّقًا فِي فَلَكِ ٱلْإِعْجَازِ
مُصَوِّرًا بِذَوْقِهِ ٱلْجَمَالَا ... فِي ٱلْكَوْنِ أَوْ فِي مَا غَدَا خَيَالَا
كَأَنْ يُصَوِّرَ ٱلْيَرَاعُ مَعْبَدْ ... مُشَيَّدًا بِفِضَّةٍ وَعَسْجَدْ
جُدْرَانُهُ بِأَسْرِهَا زَبَرْجَدْ ... وَأَرْضُهُ وَسَقْفُهُ زُمُرُّدْ
نَظِيرَ مَا قَدْ جَاءَ فِي ٱلرُّؤْيَا وَمَا ... ذَكَرَهُ صَاحِبُهَا عَنِ ٱلسَّمَا
هٰذَا هُوَ ٱلشِّعْرُ ٱلْمُحَاكِي ٱلْكَوْنَا ... نَاظِمُهُ يُلْفِي ٱلْبَدِيعَ عَوْنَا
وَيَزْدَرِي أَقِسَّةَ ٱلْبَدِيعِ ... وَيَرْتَقِي عَوَالِمَ ٱلرَّقِيعِ
وَيَفْرَعُ ٱلصُّرُودَ وَٱلْأَطْوَادَا ... وَيَعْرِفُ ٱلْعُرُوضَ وَٱلْأَبْعَادَا
وَيُدْرِكُ ٱلْمَادَ وَٱلْمَآلَا ... «مُعْتَبِرًا مَا فِي ٱلدُّنَى زَوَالَا»
مُعَلِّمًا هٰذَا ٱلْوَرَى ٱلْفُرُوضَا ... وَجَاعِلًا مَثَلَهُ ٱلْبُعُوضَا
مُمَثِّلًا مُهَذِّبًا لِلْخُلُقِ ... مُخَيِّلًا مُنَوِّرًا لِلْخَلْقِ

مُسْتَخْدِمًا بَعْضَ تَوَارِيخِ الْأُمَمْ ... مُسْتَنْتِجًا مِنْهَا وَصَايَا وَحِكَمْ
يَزِيدُهَا الْخَيَالُ كُلَّ حُسْنِ ... كَشِعْرِ أُومِيرُسَ شَيْخِ الْفَنِ
هٰذَا هُوَ الصِّنَاعَةُ الْجَمِيلَهْ ... كُلُّ الْفُنُونِ دُونَهُ ضَئِيلَهْ
فَشَاعِرٌ مُهَنْدِسُ الْبِنَاءِ ... أَفْكَارُهُ تُلْقَى عَلَى الْبِنَاءِ
فَيَخْرُجُ الْبِنَاءُ صَرْحًا شَاهِقَا ... لِلْعَيْنِ يَبْدُو رَائِقًا وَشَائِقَا
وَشَاعِرٌ مَنْ يَنْحَتُ التِّمْثَالَا ... يَكْسُوهُ مِنْ خَيَالِهِ جَمَالَا
وَشَاعِرٌ مَنْ يَرْسُمُ الْبُلْدَانَا ... يَجْعَلُهَا بِالرَّسْمِ أَرْقَى شَانَا
وَشَاعِرٌ مَنْ يَخْطِرُ انْتِظَامَا ... مُحَرِّكًا يَدَيْهِ وَالْأَقْدَامَا
وَشَاعِرٌ مُخْتَرِعُ النَّشِيدِ ... وَالْعَازِفُ الْمُحْسِنُ ضَرْبَ الْعُودِ
وَشَاعِرٌ مَنْ يُرْسِلُ الْكَلَامَا ... لَا يَبْتَغِي سَجْعًا وَلَا نِظَامَا
وَشَاعِرٌ ذَاكَ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ ... وَشَاعِرٌ عِنْدِي الْحَكِيمُ الْمُقْنِعُ
وَشَاعِرٌ مَنْ يَكْشِفُ الْمَجْهُولَا ... وَشَاعِرٌ مَنْ يَفْعَلُ الْمَفْعُولَا
وَشَاعِرٌ مُصَنِّفُ الْحِكَايَهْ ... وَشَاعِرٌ مُؤَلِّفُ الرِّوَايَهْ
وَشَاعِرٌ مَنْ يَضَعُ الْأَمْثَالَا ... وَشَاعِرٌ مَنْ يُنْشِئُ الْمَثَالَا
وَتَسْمَعُ الْأَشْعَارَ فِي الْوَلِيمَهْ ... وَتَسْمَعُ الْأَشْعَارَ فِي الْوَضِيمَهْ
وَتَسْمَعُ الْأَشْعَارَ فِي الْغِنَاطِ ... وَتَسْمَعُ الْأَشْعَارَ فِي الْبَلَاطِ
وَتَجِدُ الْأَشْعَارَ فِي الْمَلَاحِمْ ... بَيْنَ اشْتِبَاكِ الْبِيضِ وَاللَّهَاذِمْ
وَتَجِدُ الْأَشْعَارَ فِي الْحَدَائِقْ ... مَا بَيْنَ صَوْتِ صَادِحٍ وَنَاطِقْ
وَتَجِدُ الْأَشْعَارَ فِي النَّدِيِّ ... يُؤْتَى بِهَا كَمَثَلٍ مَرْوِيِّ
وَيَذْهَبُ النَّثْرُ مَعَ الدَّوِيِّ ... وَيُحْفَظُ الشِّعْرُ مَعَ الرَّوِيِّ
بَلْ تُحْفَظُ الْأَشْعَارُ بِالْمَعَانِي ... لَا بِقَوَافِيهَا وَبِالْأَوْزَانِ

فَالشِّعْرُ يَمْتَازُ بِسَامِي الْمَعْنَى ... لَا بِالْقَوَافِي الْمُحْكَمَاتِ وَزْنَا
وَرُبَّ شِعْرٍ بَارِعٍ فِي نَثْرِ ... وَرُبَّ نَثْرٍ بَارِدٍ فِي شِعْرِ
يُعَدُّ عِنْدِي قَوْلُ فَيْلَسُوفِ ... شِعْرًا إِذَا كَسِيَ بِالشُّفُوفِ
مِنْ كُلِّ مَعْنًى فَائِقٍ لَطِيفِ ... وَكُلِّ لَفْظٍ مُوثِقٍ ظَرِيفِ
نَعَمْ وَإِلَّا فِكْرُهُ الشَّرِيفُ ... سَبَبُهُ إِلَى الْوَرَى ضَعِيفُ...
فَالشِّعْرُ كُلُّ الشِّعْرِ فِي الدِّيَانَهْ ... تَرْعَى لِكُلِّ حَقَّهُ وَشَانَهْ
وَاضِعَةً حَدًّا لِكُلِّ عِلْمِ ... وَالشِّعْرُ عَدَّتْهُ شَقِيقَ الْفَهْمِ
وَزَّلَتْ وُحِيَهَا بِالشِّعْرِ ... وَعَمَّتْنَا شَرْعَهَا بِالنَّثْرِ
وَالنَّثْرُ فِيهِ نُشِرَتْ مَعَارِفْ ... «مِنْ كُلِّ عِلْمٍ تَالِدٍ وَطَارِفْ»
لِحِفْظِهَا قَدْ جُمِعَتْ بِالنَّظْمِ ... وَالشِّعْرُ فَنٌّ مُسْعِدٌ لِلْعِلْمِ
لَكِنَّهُ مُقَيَّدٌ وَمُطْلَقُ ... بِالدِّينِ وَهُوَ عَبْدُ عِلْمٍ مُعْتَقُ
فَهُوَ هُوَ الْحَقُّ إِذَا تَرَدَّى ... وَهُوَ هُوَ الْبُطْلُ وَقَدْ تَرَدَّى
قَيِّدْهُ بِالدِّينِ تَجِدْهُ صَالِحَا ... وَإِنْ غَذَاهُ الْعِلْمُ يَنْدُو نَاجِحَا
هٰذَا هُوَ الشِّعْرُ وَلَيْسَ الشَّاعِرْ ... إِلَّا الَّذِي بِدِينِهِ يُفَاخِرْ...
فَاحْتَقَرَ الدُّنْيَا وَحَارَ فَطِنَا ... وَاعْتَبَرَ الدِّينَ وَصَارَ مُؤْمِنَا
وَبِالتُّقَى وَالْبِرِّ أَمْسَى عَابِدَا ... يُحْيِي اللَّيَالِي قَائِمًا وَهَاجِدَا
بِشِعْرِهِ قَدْ مَلَأَ الْمَعَابِدَا ... قَصَائِدًا يَتْلُونَهَا نَشَائِدَا

الخطابة

إِذَا تَأَمَّلَ الْفَتَى فِي نَفْسِهْ ... وَعَقْلِهِ وَقَلْبِهِ وَحِسِّهْ
رَأَى كَمَالَ الْكَوْنِ فِيهِ اجْتَمَعَا ... وَنَفْسُهُ أَمْسَتْ لَهُ مُسْتَوْدَعَا

كَأَنَّهُ ٱلْمِرْآةُ. فِيهَا ٱنْطَبَا جَمَالُ مَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَا مَعَا
كَأَنَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فِي مَشْهَدِ صُنْعِ ٱلْقَدِيرِ ٱلْأَزَلِيِّ ٱلْأَوْحَدِ
كَأَنَّهُ مِنْ خُلْقِهِ فِي مَعْبَدِ رَبِّ ٱلْبَرَايَا ٱلسَّرْمَدِيِّ ٱلصَّمَدِ
فَٱلْحُكَمَا بِنَفْسِهِمْ قَدْ بَلَغُوا مَعْرِفَةَ ٱلْبَارِي وَفِيهَا نَبَغُوا
مُذْ عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ سُجَّدَا وَكَمْ أَقَامُوا هَيْكَلًا وَمَسْجِدَا
وَكَمْ أَجَادُوا وَأَفَادُوا فِي ٱلْأُمَمْ بِمَنْطِقٍ يَنْثُرُ لُؤْلُؤَ ٱلْحِكَمْ
فِي عَالَمِ ٱلصَّلَاحِ وَٱلْعِبَادَهْ وَعَالَمِ ٱلْإِصْلَاحِ وَٱلسِّيَادَهْ
بِٱلشِّرْكِ لَمْ يَضِلِّ سِوَى ٱلطَّغَامِ وَٱلْمُظْلِمِي ٱلْعَقْلِ مِنَ ٱلْأَنَامِ
فَٱلْوَحْيُ جَاءَ مُسْعِدًا وَمُرْشِدَا خُطَى ٱلْفَتَى إِلَى مَحَجَّةِ ٱلْهُدَى
حَتَّى أَتَى يَنْبُوعَ أَسْرَارِ ٱلْقِدَى وَأَنْقَذَ ٱلْجِبِلَّةَ مِنْ وَعْثِ ٱلرَّدَى
وَقَوَّمَ ٱلتَّعْلِيمَ وَٱلْآدَابَا وَعَمَّمَ ٱلْعِظَةَ وَٱلْخِطَابَا
وَبَثَّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلدُّعَاةَ وَٱلرُّسُلْ مُمَهِّدًا إِلَى ٱلسَّمَا كُلَّ ٱلسُّبُلْ
وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِمِ ٱلْحُفَّاظُ وَٱلْعُلَمَا وَٱلْخُطَبَا ٱلْوُعَّاظُ
وَنَشَرُوا إِنْجِيلَهُ فِي ٱلْعَالَمِ فَٱتَّبَعَ ٱلْمَسِيحَ وُلْدُ آدَمِ
«فِي كُلِّ صَقْعٍ صَوْتُهُمْ قَدْ سُمِعَا» وَلَبَّنُ ٱلتَّهْذِيبِ مِنْهُمْ رُضِعَا
وَكُلُّ ذَا بِنِعْمَةِ ٱللهِ جَرَى وَقُوَّةِ ٱلَّذِينَ زَانُوا ٱلْمِنْبَرَا
تَسَابَقَ ٱلْمِنْبَرُ وَٱلْبَرَاعَهْ وَهُوَ ٱلْمُجَلِّي فِي مَدَى ٱلْبَرَاعَهْ
وَهُوَ لَدَيْنَا حِلْيَةُ ٱلْكَنَائِسْ وَبَهْجَةُ ٱلنَّدَوَاتِ وَٱلْمَدَارِسْ
تَعَالَ يَا هٰذَا غَدًا لِلْبِيعَهْ وَٱحْضُرْ لَدَى طُقُوسِهَا ٱلْبَدِيعَهْ
تَلْقَ جَمَالًا يُبْلِجُ ٱلْبَوَاصِرْ وَيَلِجُ ٱلْآذَانَ وَٱلْبَصَائِرْ
مِنْ رَائِقٍ وَمُوثِقٍ وَدَائِعْ وَشَائِقٍ وَمُشْرِقٍ وَسَاطِعْ

في المنتهى يغدو المصلي ناصتا ... والارغن الشادي يعود صامتا
محترمين من تراه ينبري ... لخطبة مرتقيا في المنبر
كل الفنون للخطيب المصقع ... ترنو وتجثو سجدا وركع
هذا هو الشاعر بالسليقة ... هذا هو المنشئ في الحقيقة
هذا هو الحكيم والاستاذ ... هذا هو المرجع والملاذ
هذا هو المشترع المنظم ... هذا هو العالم والمعلم...
تجده بين الورى كملك ... نيرهم ككوكب في حلك
هذا هو الدين وليس الواعظ ... سوى مذكر به وحافظ...
فالعلم في الدين وليس العلم ... في عالم خيوره هي السم
في عالم إنسانه كوحش ... ديدنه في مطمع ونهش
ماذا أفاد سكبه الدينارا ... وحبه ذا العالم الغرارا...
هذه هي الدنيا وفيها الشر ... هذا هو الدين وفيه البر
به بها تغد لنا إبليسا ... بها به تغد لنا قديسا

مطبوعات شرقية جديدة

Dom Placide de Meester O. S. R.: La divine Liturgie de S. Jean Chrysostome, annotée et publiée avec le texte grec en regard. *Rome, François Ferrari*, 1907, pp. XV × 267.

ليترجيا القديس يوحنا الذهبي الفم

يسرنا نبشر محبي الطقس اليوناني من ابناء الكنائس الشرقية وغيرهم ان حضرة الاب الفاضل بلاسيد دي مستر البنديكتي استاذ الليترجيا والطقوس في مدرسة القديس اثناسيوس للروم الكاثوليك في رومة قد نشر حديثاً كتاباً هو من اجل الكتب الطقسية ألا وهو كتاب ليترجيا القديس يوحنا الذهبي الفم ابي الكنيسة جمعاء عموماً وكنيستنا

الشرقيَّة اليونانيَّة خصوصاً طبعت في مطبعة الفاتيكان . وذلك بمناسبة عيد القديس المذكور للمئة الخامسة عشرة . وكفى باسم الذهبي الفم دليلاً على اهميَّته . اما الكتاب فيحتوي : ١ً مقدمة ووصفاً مختصراً لكنيسة يونانيَّة الطقس بكل اقسامها وآنيتها — ٢ً ليترجيا الذهبي الفم باقسامها الثلاثة اي تهيئة الذبيحة (Προσκομιδή) فليترجيا الموعوظين (Λειτ. τῶν πιστῶν) وليترجيا المؤمنين (Λειτουργία τῶν κατηχουμένων) وكلها مطبوعة باليونانيَّة مع ترجمة كل صفحة على الصفحة المقابلة . وكل ذلك بحبر احمر واسود مما يجعل الكتاب غاية في الرونق . وعبارة الكتاب اليونانيَّة ماخوذة عن اوثق المصادر — ٣ً شروحاً وافية على اقسام الليترجيا الثلاثة — ٤ً فصلاً في خصوصيات القداس الحبري — واخيراً جدول هجائي للالفاظ الليترجية الواردة في الكتاب — وفي اوله صورة صناعية منقولة عن ايقونة بيزنطية قديمة الاصل — والكتاب مطبوع بالافرنسيَّة ما عدا الليترجيا وبعض صلوات ونحوها في سائر اجزائه فيها وباليونانيَّة كما مرَّ وقد طبع ايضاً بالطليانية مع اليونانية لليترجيا وسائر الصلوات كما هو بالافرنسية . اما الطبع فبالغ في الاتقان غاية بعيدة فانَّ الورق جيد والحروف مشرقة بديعة والحروف اليونانية في كل اقسام الكتاب هي الحروف القديمة الشهيرة المعروفة بحروف اكسفورد وكل صفحة منهُ محاطة باطار احمر . وغاية القول انه لم يبقَ شيءٌ من محسنات الطبع غير مبذول فيه فضلاً عن محسناته المعنوية الكثيرة . فقد اتت هذه الطبعة (في اللغتين الافرنسية والطليانية) فريدة في بابها يجد فيها محبّ الطقوس كل ما يودّ من بيان وشرح فلا يرى في القداس امراً الَّا رأى في الكتاب شرح ما يصعب عليه فهمه . فهو من هذا القبيل غاية في الافادة لكل المؤمنين . اما كهنة الطقس اليوناني فيجدون فيه لصغر حجمه كتاباً يقارن فيه القداس الالهي ولاسيما في الاسفار ونحوها حيث يصعب حمل الكتب الكبيرة . وفي صادق نظر حضرة الاب دي ستر وسعة معارفهِ بالطقوس الشرقية ولاسيما طقسنا اليوناني غنًى عن اطراء كتابهِ فانه يحتوي خلاصة اطلاعهِ الواسعة وابحاثهِ الكثيرة في احوال الكنيسة اليونانية قديمة وحديثة فان حضرتهُ لم يكتفِ بدرس تلك الطقوس والتبحُّر فيها وفي ما يتعلق بها من الآثار بل قصد ان يرى بعينهِ ويمسّ بيده ما يجري في الكنائس اليونانية من الحفلات والطقوس فزار كثيراً من المدن اليونانية في تركيا وبلاد اليونان حتى جبل اثوس الشهير بديرتهِ فلابس رهبانهُ مدة واخذ عنهم كل ما تهيَّأ معرفته .

فنرجو لكتابه مزيد النفع والانتشار كما اننا نرجو ان لا يزال يفيدنا من بحر علمه الواسع الاطراف ان شاء الله عز وجل (١) ف. خ احد رهبان دير المخلص الباسيليين

G. WILBOIS: L'avenir de l'Eglise Russe. Essai sur la crise sociale et religieuse en Russie. *Bloud et Cie*, *in*-16, *Paris*, 1906.

نظر في مستقبل الكنيسة الروسية

مؤلف هذا الكتاب عالم سكن طويلاً بلاد روسية وله مع اهلها وشيجة رحم فقد وضع هذا التأليف لتعريف نظام الكنيسة الروسية واحوالها الدينية المختلفة وبيان الشيع التي تضعفها يوماً بعد آخر لاسيما شيعة الرسكولنيين. وقد قدم على هذه الابحاث نظراً عمومياً في روسية وجغرافيتها وسكانها وهيئتها الاجتماعية مع ما يمتاز به الروسيون من السجايا الطيبة والاخلاق السيئة فيمدح فيهم طول اناتهم وكرم طباعهم ويذم شراسة اخلاقهم وبطئهم في العمل واميالهم المنحرفة الى شرب المسكرات وارتكاب المحظورات وغاية المؤلف في كل ذلك البحث عن مستقبل الكنيسة الروسية وهل يؤمل عودها الى الوحدة الكاثوليكية. فرأي الكاتب ان هذا الاتحاد المرغوب ممكن وهو يعرض عدة وسائل لتسهيله وتقريب زمانه يحسن التوسل ببعضها لصلاحها اما البعض الاخر فلا يمكن التسليم به كتحوير بعض العقائد الدينية كأن الكنيسة الكاثوليكية تستطيع ان تنبذ شيئاً من التعاليم التي ورثتها من الرسل بتقليد متواتر. ومع هذا التحفظ نثني على مؤلف هذا الكتاب ونقر بأن في تأليفه اموراً عديدة تدل على دقة نظر وبحث دقيق الاب ف. تورنيز

Dr M. Fishberg. Materials for the Physical Anthropology of the Eastern European Jews. 1905, 141 pp., (reprinted from the *Annals of the New-York Acad.. of Sciences*. With 6 Studies on the Jews, 1906-1907, 60 pp.

مواد لتعريف خواص اليهود النسلية في شرقي اوربة

ان علم تمييز الاسلال البشرية (Anthropologie) وتعريف خواصها وسماتها التي تفرزها عن سواها لمن العلوم المستحدثة التي لم تثبت حتى اليوم اصولها فترى العلماء

(١) والكتاب ثمنه في المكاتب فرنكان ونصف. على ان المؤلف يبيعه بما دون ذلك ولا سيما لمن يطلب عدداً وافراً من النسخ. اما عنوانه فهو: — Collège Grec — Via Babuino, 149, Rome.

يتردّدون في بيان مبادئها وتقرير قواعدها . لكن هذا الامر في تعريف خواصّ اليهود النسليّة اقرب منهُ في غيرهم لحفظهم في سحنتهم وتركيب بنيتهم كثيرًا من السمات المفرزة لهم عن غيرهم في كل انحاء الدنيا . ولذلك قد اكثر العلماء من درس الميزات التي تلوح في الموسويين فمنهم من يزعم انهم لم يختلطوا مع سواهم من الامم منذ نحو ٤٠٠٠ سنة فبقوا على اصلهم الجنسي دون تغيير يذكر . وادّعى غيرهم انّ الدم اليهوديّ ليس بخالص فامتزج بأُمم أُخرى . على انّ العلماء مجمعون على انقسام اليهود الى قسمين كبيرين احدهما قسم اليهود المعروفين بأشكنازيم نسبة الى اشكناز بن يافث (تكوين ١٠ : ٣) وهم يهود روسيا والمانية وبولونيا والاخر اليهود السفارديم نسبة الى بلاد سفارد المذكورة في نبوّة عوبديا (ع ٢٠) وهم يهود اسبانيا والبرتغال الذين طردهم الاسبان سنة ١٤٩٢ فانتشروا في جهات اوربة وتركيا . فخصّ المسيو فيشبرغ الاميركي كتابهُ في هذا القسم الاخير وفحص عددًا وافرًا من اليهود ليتبين خواصهم الطبيعيّة من تركيب بنية وطول وعرض ولون العيون والشعر وقياس الجمجمة وصورة الانف وسحنة الوجه . وساعدهُ على عملهِ وفرة اليهود الذين هاجروا الى نيويرك من اوربّا واسيا وافريقية وهم يبلغون ٦٠٠,٠٠٠ فكانت نتيجة بحثهِ مدّة سنين متواصلة انّ يهود شرقيّ اوربّة وهم اربعة اخماس يهود العالم لم يحفظوا سمة بني سام التي تجدها خالصة في عرب البدو . والمرجّح انهم اقترنوا بالاموريين فاخذوا منهم ميزاتهم كشقرة شعرهم وزرقة عيونهم وغير ذلك ممّا عُرف بهِ كثيرون من اليهود المحدثين . وقد عاد المسيو فيشبرغ الى دروسهِ عن اخلاق اليهود الطبيعيّة في عدّة مقالات نشرها في مجلّات مختلفة وطبعها على حدة وكلُّها مفيدة في بابها استفاد فيها المؤلف من ملحوظات العلماء على كتابهِ السابق . فنمحض المؤلف شكرنا ونتمنى ان يخصّ بدرسهِ قريبًا يهود الشام وفلسطين ولاسيما يهود صفد لكشف النقاب عن اصلهم ونسبهم . وفي ختام كتاب المؤلف جدول التآليف التي راجعها وهي كثيرة لكنها منها ما لا يستحق الذكر كتأليف «رينان» في اصل اليهود ودينهم» الذي طبعهُ سنة ١٨٨٣ وقد بيّن اغلاطهُ العديدة دي أُروسي في نشرة الجمعيّة المصريّة عند ظهوره . وكذلك نشير على المسيو فيشبرغ ان يراجع ما ورد في اصل اليهود الحاليين في نشرة الدروس اليهوديّة للعالمين اليهودين جاك سنة ١٨٩٣ ورياخ سنة

شذرات

تاريخ قيد الملّة المارونيّة نظم سيادة المنسيور يوسف العلم التائب الاسقفي الماروني في بيروت هذا التاريخ ليخلد به ذكر قيد ملّته الجليلة المثلث الرحمات والواسع المبرّات المطران يوسف الدبس :

زُرْ يوسفَ الدبس حبر الله في جدثٍ ... من الراحم تهمي فوقهُ دِيَمُ
حيُّوا ثراهُ مدى الاجيال تكرمةً ... للدين والعلم والاحسان يا أُمَمُ
صفُّوا تآليفهُ صفُّوا تراجمهُ ... من حولهِ فلهُ من صفّها هَرَمُ
هذه كنانةٌ تشدُو بهمّتهِ ... هذي منابرهـا فيها لهُ نغمُ
وتلك مدرسةٌ عن حكمةٍ بُنيتْ ... فازهرت عندها الآدابُ والحكمُ
ما مات من بقيت هذي مآثرهُ ... ولا طوتهُ رموسٌ لا ولا رِمَمُ
قولوا لمن قال « والبيداء تشهد لي ... والطعن والضرب » دَعْ ما فيهِ تختصمُ
في الدبس قولك أرّخْ جاد قائلهُ ... ذا مَنْ لهُ يشهدُ القرطاسُ والقلمُ

١٩٠٧

دائرة علوم الصين للمرسلين اليسوعيين في بلاد الصين مطبعتان الواحدة في زيكاواي قريباً من شنغاي قديمة طبع فيها عددٌ لا يُحصى من الكتب الصينيّة في كلّ ضروب المعارف وقد سبق لنا وصف البعض منها في المشرق(٣ : ٤٧٤; ٤ : ٣٨٢; ٥ : ٩١, ٩-٨ الخ) . والثانية احدث عهداً أُنشئت في هين هين في مقاطعة تشالي اصابت في هذه السنين الاخيرة سمعةً طيبة . وممّا انجزت طبعهُ مؤخّراً كتاب واسع في اثني عشر جزءاً و ٧٠٠٠ صفحة يحتوي مجموع العلوم الصينيّة من تاريخ وجغرافية وفلسفة وآداب ولغة ودين وشيع وعادات وخرافات . ومؤلف هذا الكتاب النفيس الاب لاون ڤيغر (L. Wieger) . وقد اثنى علماء الصين على المصنّف الجديد اطيب الثناء كما ان المستشرقين الفرنسويين بعد الجزء الخامس منهُ سنة ١٩٠٥ انالوا مؤلفهُ جائزة ممتازة تعرف بجائزة ستانيسلاس يليان (Prix Stanislas Julien) تُعطى لأخطر كتاب يُنشر في علوم الصين

أسئلة وأجوبة

س سألنا من زحلة احد كهنتها الافاضل ما هو سبب اختلاف العدد تلاميذ الرب في آيتي لوقا (١٠ : ١ و١٧) حيث ورد في ترجمة الآباء اليسوعيين انهم كانوا ٧٢ وفي النسخ الشائعة في الكنائس الشرقيَّة انَّ عددهم كان ٧٠ ؟

عدد تلاميذ الرب

ج انَّ نسخ الاناجيل القديمة قد اختلفت في ضبط هذا العدد . فمن النسخ اليونانيَّة (وفيها كُتب الخجيل لوقا) ما يذكر ٧٠ تلميذاً ومنها ما يذكر ٧٢ . وكذلك لا تتَّفق الترجمات السريانيَّة واللاتينيَّة والحبشيَّة والارمنيَّة فبعضها يروي العدد الاوَّل وبعضها الثاني . على ان الرجيح بان العدد الاصلي كان ٧٠ كما يظهر من اقدم النسخ اليونانيَّة . اما تعليل هذا الاختلاف فمبنيّ على اختلاف سابق في عدد الشيوخ الذين اقامهم موسى الكليم أكانوا ٧٠ او ٧٢ حسبما يضاف اليهم ألداد ومَيْداد (سفر العدد ١١ : ١٦ , ٢٥ , ٢٧) . ويُرى مثل هذا الاختلاف في عدد امم الارض المذكورة في سفر التكوين (ف ١٠) فالنسخة العبرانية لا توافق اليونانيَّة في العدد فالواحدة تروي ٧٠ والاخرى ٧٢ . ومثل ذلك ايضاً عدد مجمع اليهود المِلّي الاعلى قلم يَعْلَم المفسرون اكان عددهم ٧٠ مع المقدَّم عليهم او دونهُ . وما يزيد الامر ارتباكاً ان العددين كليهما من الاعداد الرمزيَّة المقدسة فامكن النسَّاخ ان يتَّخذوا الواحد بدلاً عن الاخر . وكذا جرى في السبعين تلميذاً فعلَّهم البعض ٧٢ وجرت عليهِ النُّسَخ . ولعلَّهم زادوا اثنين ليكون لكل رسول ٦ تلامذة واذا ضربت ٦ بعدد ١٢ حصل ٧٢ . وكان القدماء في رواية الاعداد يلحظون في الغالب عددها الرمزيّ فيروونهُ بالتقريب . كما ترى في الانجيل بعد قيامة الربّ ذكر « الاثني عشر » مع انهم لم يكونوا الَّا ١١ بعد موت يوداس ومثلهُ قولنا في ١٢ سبط يهوذا مع انَّ الاسباط في الحقيقة ١٣ لانَّ سبط يوسف انقسم الى قسمين افرام ومنسّى الاب ا . دوران

س سالنا من عشيت احد معلّميها هل يمكن ان يكون التوم طيباً؟ وان امكن ان يكون طيباً افيجوز استعماله ؟ وحتى جاز فكيف يلزم ان يباشر واي وقت ولأيَّة غاية ؟

التوم أيكون طيباً وهل يجوز استعمالهُ

ج ترى الجواب على هذا السؤال في مقالة افردها لهذا الموضوع حضرة الاب لويس رنزقال في السنة السابعة للمشرق (ص ١١٣١ — ١١٣٨) ل . ش